مركز حرمون
للدراسات المعاصرة
HARMOON
Araştırmalar Merkezi
For Contemporary Studies

تعبئة الهويات الطائفية في الحرب الأهلية السورية

ترجمة: أحمد عيشة

ترجمات

مركـــز حرمـون
للدراســات المعاصــرة

هو مؤسّسة بحثية مستقلة، لا تستهدف الربح، تُعنى بإنتاج الدراسات والبحوث السياسية والمجتمعية والفكرية المتعلقة بالشأن السوري خاصة، والصراع الدائر في سورية وسيناريوهات تطوره، وتهتم بتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي. كما تهتم أيضًا بالقضايا العربية، والصراعات المتعلقة بها، وبالعلاقات العربية الإقليمية والدولية .

يُنفذ المركز مشاريع ونشاطات، ويُطلق مبادرات من أجل بناء مستقبل سورية، على أسس وقيم الديمقراطية والحرية والمساواة وحقوق الإنسان وقيم المواطنة المتساوية، ويسعى لأن يكون ميدانًا للحوار البنّاء، وساحة لتلاقي الأفكا ر

قسم الدراسات:

يُقدِّم هذا القسم الدراسات العلمية والموضوعية التي تناقش القضايا السورية الأساسية، وتعالج المشكلات الرئيسة، وتقترح الحلول والبدائل المناسبة، وهو مسؤول عن إنتاج المواد البحثيّة العلمية الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والثقافية والتربوية، التي تستند إلى جهدٍ بحثيّ أصيل ورصين يتوافق مع أصول العمل البحثيّ العلمي.

يحرص قسم الدراسات على تقديم قراءات للواقع الراهن، ويضع على جدول أعماله إنتاج دراسات من الفئات البحثية كافة، بهدف إعادة بناء المنظومة الفكرية والسياسية والقانونية والثقافية والتربوية في سورية المستقبل، ويستكشف التأثيرات المتبادلة بين السياسة والاقتصاد والقانون والمجتمع والفكر، ويبحث في تأثيرات الحرب السورية وسبل تجاوزها في المستقبل في نظام ديمقراطي تعددي تداولي.

تعبئة الهويات الطائفية في الحرب الأهلية السورية

اسم الدراسة الأصلي	The Mobilisation of Sectarian Identities in the Syrian Civil War
الكاتب	أنتونيا روبسون، Antonia Robson
مكان النشر وتاريخه	مجلة العلاقات الدولية، E -ENTERNATIONAL RELATIONS، 3 أيار/ مايو 2021
رابط الدراسة	https://2u.pw/jeA18
عدد الكلمات	10570
ترجمة	وحدة الترجمة/ أحمد عيشة

(*) – الآراء الواردة في هذه الدراسة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المركز

المحتويات

مقدمة 3

البنية 6

الاحتجاجات الوطنية على الحرب الأهلية الطائفية 7

الإطار النظري والمفاهيمي: الطائفية ونظرية الأمننة 9

تعريف الطائفية 9

الخلفية النظرية: نظرية الأمننة 10

التحليل: أمننة الهويات الطائفية في سورية 12

أمننة الأسد الطائفية 12

1. الخطوة الأولى: فعل الكلام 13
2. الخطوة الثانية: بدء الإجراءات الاستثنائية 15
3. الخطوة الثالثة: تلقي فعل الكلام 15

دراسة حالة: دور قوات أمن الأسد 20

1. تاريخ قوات الأمن ومفهومها 20
2. السردية الطائفية 21
3. المخاوف الاجتماعية والاقتصادية 22

الديناميات الخارجية: إيران وحزب الله في الصراع السوري 23

1. المصالح والدور الإيراني 24
2. مصالح حزب الله ودوره 25
3. التدخل الخارجي ونظرية الأمننة 26

الخاتمة 27

مقدمة

هناك إجماع واسع على أن الشرق الأوسط يشهد موجة من الصراع الطائفي، حيث يبدو أن التوترات العرقية والدينية قد اتسعت وتعمقت منذ الانتفاضات العربية عام 2011 [1]. في نظام ما بعد عام 2011، تشهد دول عدة في المنطقة تنافسات وصراعات وتحالفات وحروبًا مؤطرة بمصطلحات طائفية [2]. والحرب الأهلية السورية تُعدّ واحدة من أشد مظاهر الصراع الطائفي في المنطقة اليوم، إذ غمرها صراع مستمر منذ عقدٍ من الزمن، أدّى إلى إخلاء وتدمير جزء كبير من البلاد [3]. ومع ذلك، فإن اختزال الحرب الأهلية السورية إلى صراع طائفي، يسيء إلى وصف الدوافع الأصلية للانتفاضة السورية ويشوهها. لم تكن الانتفاضات، التي بدأت في عام 2011 مدفوعة في البداية بالطائفية، بل كان دافع المتظاهرين هو ارتفاع معدلات البطالة، وعدم المساواة الاقتصادية، والاستياء العام من نظام بشار الأسد [4]. ومع ذلك، في غضون شهر من الاحتجاجات الأولى، أصبحت الهويات الطائفية عنصرًا محوريًا في تصعيد العنف الذي أدّى إلى اندلاع الحرب الأهلية [5]. علاوة على ذلك، أصبحت الهويات الطائفية تحدد خطوط الصدع في الحرب، عندما احتشدت الأقليات الدينية، ولا سيّما العلويين، جنبًا إلى جنب مع المسيحيين والدروز والشيعة، خلف النظام، في حين هيمنت الأغلبية السنّية على المعارضة. وهذا يطرح السؤال: كيف تحولت هذه الاحتجاجات الطبقية العابرة للطوائف إلى حرب أهلية ذات بعد طائفي ثقيل؟ تسعى هذه الأطروحة للتحقيق في العملية التي أصبحت من خلالها الهويات الطائفية قضايا أمنية في المراحل الأولى من الصراع السوري (2011-2012)، وكيف أسهم حشدها في انزلاق سورية إلى حرب أهلية؟في حين أن قلة يجادلون في تصاعد الحراك السياسي المبرر/ المضبوط باسم الهوية الطائفية [6]، ما تزال العلّة وراء هذه التحركات نقطة خلاف بين

(1) - عبدو، ج. (2013). «الطائفية الجديدة: الانتفاضات العربية وانبعاث الانقسام الشيعي السني» دراسة تحليلية لمركز سابان في معهد بروكينغز، وغاوس، (2014). «ما بعد الطائفية: الحرب الباردة الجديدة في الشرق الأوسط». معهد بروكينغز مركز الدوحة - ورقة تحليلية، وهاينبوش. (2016). «الثورة الطائفية في الشرق الأوسط». ثورات/ تطورات: الاتجاهات العالمية والقضايا الإقليمية، 4 (1): ص 152-120، وهاشمي. وبوستل. (2017). «الطائفية: رسم خريطة السياسة الجديدة للشرق الأوسط». مجلة الإيمان والشؤون الدولية. 15 (3): ص 1-13. وفيليبس وفالبورن. (2018). "ما الاسم؟: دور الهويات (المختلفة) في الحروب المتعددة بالوكالة في سورية". الحروب الصغيرة والتمردات، 29 (3): ص 433-414.

(2) - مالمفيغ، (2014). «القوة والهوية والأمن في الشرق الأوسط: النظام الإقليمي بعد الانتفاضات العربية». سياسة البحر الأبيض المتوسط. 19 (1): ص 145-148.

(3) - لي خ، (2012). سورية: سقوط بيت الأسد. لندن: مطبعة جامعة ييل. وسالاماندرا، (2014). "الطائفية في سورية: تأملات أنثروبولوجية". نقد الشرق الأوسط، 22 (4): ص. ص 306-303، وفيليبس، (2016). المعركة على سورية: التنافس الدولي في الشرق الأوسط الجديد. لندن: مطبعة جامعة ييل. وبالانش، (2018). "الطائفية في الحرب الأهلية السورية". معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى،
https://bit.ly/2UOMwOg

(4) - غولدستون، (2011). "فهم ثورات 2011". فورين أفيرز، ص. 11
https://fam.ag/3zFXBzK

(5) - ويمين. (2016). "مسار سوريّة من الانتفاضة المدنية إلى الحرب الأهلية». مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، ص. 61
https://bit.ly/2TCSnp0

(6) - مرجع سابق، غاوس، (2014)

الباحثين [7]. ما يزال الجدل الذي عفا عليه الزمن بين مقاربة البدائيين والذرائعيين يشغل الكثير من الحوار حول الطائفية، حيث الصراع الطائفي يُعزَى إما إلى استمرار الكراهيات القديمة وإما إلى التلاعب الكامل من قبل النخب. يتناول الموقف البدائي السابق الهويات على أنها بُنًى اجتماعية غير قابلة للتغيير، وهذا ما يجعل الصراع الطائفي يمثل استطالة ومدًّا لأمد الصراع القديم داخل المجتمع الإسلامي الذي يعود تاريخه إلى القرن السابع [8]. من خلال تفسير الصراع، بوصفه صراعًا متجذرًا في الاختلافات الطائفية القديمة بين الطائفتين السنيّة والشيعية، تخبرنا الروايات الشائعة المستخدمة في وسائل الإعلام الغربية ولدى صانعي السياسات أنه لا يوجد خيار سوى «السماح لهم بالتحارب" في الشرق الأوسط [9]. على سبيل المثال، غالبًا ما استخدم باراك أوباما، رئيس الولايات المتحدة السابق، عبارات مثل «اختلافات طائفية قديمة» و«متجذرة في الصراعات التي تعود إلى آلاف السنين»، لشرح الصراع في الشرق الأوسط، مشجعًا على الرؤية البدائية للصراع السوري [10]. لا يمكن أن تفسر البدائية Primordialism سبب تعايش الهويات الطائفية بسلام في لحظات من التاريخ، التي تصبح مصدرًا لصراع حاد خلال اللحظات الأخرى، ولا تقدم أي قيمة تُذكر في فهم تجدد الصراع الطائفي في سورية. إن الترويج لسردية «سنّية مقابل شيعية»، لفهم الصراعات الإقليمية، لا يؤدي إلا إلى تعزيز تداعيات السياسة الاختزالية التبسيطية والمفاهيم الاستشراقية عن الشرق الأوسط وعما يتعلق بالدين.

ومن ناحية أخرى، ترى المقاربة الذرائعية الهوية الطائفية في الشرق الأوسط أداةً مفتوحة للتلاعب والاستغلال من قبل النخب السياسية [11]. فالذرائعيون يفهمون الطائفية على أنها ظاهرة حديثة، تتعلق بالكامل بالسياسة أكثر مما ترتبط بالقضايا الدينية القديمة. تركّز الدراسات الحديثة على عملية «التطييف" لشرح الصراع الطائفي، معتقدة أن القادة السياسيين يعبئون الهويات بغرض تكريس حكمهم السياسي [12]. إن الذرائعية محقة في تأكيد دور النخب السياسية، حيث لجأت الأنظمة الاستبدادية إلى إثارة التوترات الطائفية التي تلي عدم الاستقرار الذي تسببت فيه الانتفاضات العربية [13]. ومع ذلك، في

(7) - دودج، (2018). "السعي لتفسير الحراك الطائفي في الشرق الأوسط". مدونات LSE

(8) - غيرتز، (1963). "الثورة التكاملية: المشاعر الأولية والسياسة المدنية في الولايات الجديدة". في: غيرتز، محرر، المجتمعات القديمة والدول الجديدة. نيويورك / لندن: ص. ص 105 - 157.

(9) - بينيت، (2013). "كمين للقوات السورية في العراق يزيد الخوف من حرب طائفية أكبر". أتلانتيك،
https://bit.ly/3f3owhd
وويرمان، (2013). «لماذا أصبحت سورية بؤرة اشتعال للتوتر الطائفي الإقليمي». العالم.
https://bit.ly/3y9qzrj

(10) - هاشمي، (2016). "نحو نظرية سياسية للطائفية في الشرق الأوسط: بروز الاستبداد على اللاهوت". مجلة الدراسات الإسلامية. 1 (1): ص. 65.

(11) - لينخ، (2013). «الحرب على العالم العربي». فورين بوليسي،
https://bit.ly/3BZ6Ay6
وغاوس (2014)، وهاينبوش (2016)، وهاشمي وبوستل (2017)، وفالبورن، (2019). «ما هو الطائفي في السياسة الطائفية؟ سياسات الهوية والاستبداد في الشرق الأوسط الجديد. دراسات في العرقية والقومية، 19 (1): ص 127-149.

(12) - مرجع سابق، هاشمي وبوستل (2017)

(13) - مابون، (2019). «نهاية معركة البحرين وأمننة الشيعة البحرينيين». معهد الشرق الأوسط، 73 (1): ص 30.

حين أن الذرائعية تقدم مزايا واضحة عن البدائية، فإن مثل هذا الفهم يفترض أن الصراع الطائفي ما كان ليحدث لولا الفاعلون السياسيون الذين يتلاعبون إستراتيجيًا بانقسامات الهوية لأغراض سياسية. تمنح الذرائعية النخب سلطات كاملة للإقناع والتعبئة السياسية، مختزلة الهويات الطائفية إلى أيديولوجية تقوّض معنى ومحتوى الخطابات الطائفية. ومن ثمّ، يجب إيلاء المزيد من الاهتمام لكيفية إنتاج الهويات الطائفية، وإضفاء الطابع الأمني عليها في أوقات الصراع، مع الأخذ في الحسبان أيضًا تاريخ الهويات القائمة على الطائفة، وما يعنيه التحدث بمصطلحات طائفية.

توفّر مدرسة كوبنهاغن ونظرية الأمننة Securitisation theory [14] منظورًا أفضل يمكن من خلاله فهم انحدار سورية نحو الحرب الأهلية، والدور الذي لعبته الهويات الطائفية في تشكيل اتجاه الصراع. الحجة المركزية لنظرية الأمننة هي أنه يمكن تحليل الأمن باعتباره فعلًا كلاميًا [فعل الكلام هو شيء يعبّر عنه الفرد، لا يقدم المعلومات فحسب، بل يقوم أيضًا بإجراءٍ ما، ونظرية فعل الكلام هي حقل فرعي من البراغماتية التي تدرس كيفية استخدام الكلمات، ليس لتقديم المعلومات فحسب، بل لتنفيذ الإجراءات أيضًا.] حيث تُقدّم القضية على أنها تهديد وجودي من قبل كائن مرجعي [كائن (أو نموذج مثالي) يتعرّض للتهديد ويحتاج إلى الحماية وهو هنا الجمهور، وهو الهدف من قانون الأمننة الذي يحتاج إلى الإقناع وقبول القضية كتهديد أمني]، وهو ما يتطلب ويبرر تدابير طارئة خارج الحدود العادية للإجراء السياسي [15]. توضح دراسة الطائفية من منظور الأمننة كيف تصوّر النخب السياسية «الآخر» الطائفي باعتباره تهديدًا وجوديًا لمجتمع معين، وهو ما يستدعي استجابة قصوى لمواجهة التهديد. وعلى الرغم من تطوير نظرية الأمننة من خلال منظور غربي، فهي تكتسب أرضية في الشرق الأوسط، حيث يستخدم الباحثون إطار العمل لتوضيح كيف أصبحت الهويات الطائفية أكثر أمننة [هويات ذات طابع أمني] في أوقات الصراع [16]. من خلال التركيز على كلٍ من تشكيل الهوية وسياسات القوة، يمكن لهذه المقاربة سدّ الثغرات في النقاش الحالي، وتوفير فهم أعمق لشكل وأسباب الصراعات الحالية في المنطقة. ومع ذلك، لم يُنجز سوى القليل من العمل لتطبيق نظرية الأمننة على الصراع السوري. يركّز الباحثون إما على مشاركة الجهات الإقليمية الفاعلة في الصراع، مثل حزب الله والمملكة العربية السعودية [17]، وإما على تطبيق نظرية الأمننة على انتفاضات عربية أخرى، مثل البحرين [18]. تستند هذه الأطروحة إلى المقاربات المذكورة أعلاه من أجل فهم أفضل لديناميكيات الأمننة الصريحة للنظام السوري ودوره في الإسهام في تصعيد العنف الذي أدّى إلى اندلاع الحرب الأهلية. نظرًا لأن الشرق

(14) - سيستخدم هذا العمل خلق تصور لمفهوم الأمن: إطار جديد للتحليل (1998)، لمؤلفيه: باري بوزان وجاب دو وايلد وأوله وايفر

(15) - المرجع السابق، ص. 23

(16) - مالمفيغ، (2014). "القوة والهوية والأمن في الشرق الأوسط: النظام الإقليمي بعد الانتفاضات العربية". سياسة البحر الأبيض المتوسط. 19 (1): ص 148-145 =

= - مالمفيغ، (2016). «الخروج من الجمود: كيف يمكننا أن نأخذ سياسات الهوية الطائفية على محمل الجد في الشرق الأوسط من دون اللعب على نغمات نخب القوة الإقليمية»، Pص. ص 32- 36.

https://bit.ly/3rE7riG

- مالمفيغ ـ (2019). "اسمح لي هذه المرة أن أتحدث كشيعي". سياسة البحر الأبيض المتوسط، ودرويش وفاخوري (2016)، «تصوير الآخر كتهديد وجودي: أمننة الطائفية في العلاقات الدولية للأزمة السورية». الخطاب العالمي، 6 (4): ص 712-732. وماتيسن، (2019). «الطائفية كأمننة: سياسة الهوية والثورة المضادة في البحرين». In: N في الهاشمي وبوستل، تحرير: التطييف: رسم خريطة السياسة الجديدة للشرق الأوسط. لندن: هيرست وشركاه، ص 214-199. ومابون (2019).

(17) - المرجع السابق.

(18) - مرجع سابق، ماتيسن (2019)، ومابون (2017).

الأوسط يُعرف بشكل متزايد من خلال المصطلحات المسيّسة والعرقية والطائفية للسنّة والشيعة، فإن التركيز على كيفية تأثير الطائفية في الصراعات يمكن أن يساعد في تحطيم هذه السردية المولدة والمستمرة ذاتيًا، وفي محاولة نزع فتيل النزعة الطائفية التي تستهلك نظام ما بعد عام 2011. ومن ثم، ستُستخدم أطروحة نظرية الأمننة هذه لتسأل: **كيف أسهمت تعبئة الهويات الطائفية في تشكيل الحرب الأهلية في سورية؟**

ستجادل هذه الأطروحة بأن نظام الأسد نجح في إضفاء الطابع الأمني على الهويات الطائفية في المراحل الأولى من الانتفاضات، وفي تحويل الصراع إلى حرب أهلية ذات بعد طائفي مفرط. من خلال تحليل الخطابات والممارسات الأمنية التي يتبناها النظام وقواته الأمنية [19]، ستوضح هذه الأطروحة كيف استخدم النظام سردية حمايته الأقليات، مثيرًا عن عمد المخاوف من بديل الحكم العلوي. من خلال اللعب على المخاوف الموجودة من قبل، مثل انعدام الأمن، والمتأصلة بعمق في تاريخ الطائفية في سورية، تمكّن النظام من حشد قاعدة دعم وتبرير حملته القمعية، وإضفاء الطابع الأمني على اندلاع الانتفاضة وتطورها. ومع ذلك، فإن الخطاب الطائفي الذي تبناه النظام، جنبًا إلى جنب مع رد قوات الأمن العنيف على الاحتجاجات السلمية، دفع المعارضة إلى الانقسام والابتعاد عن مقاربتها الطبقية الأولية والتعبئة على أسس طائفية. ستوضح دراسة الحالة في تاريخ ومفهوم قوات الأمن دورها في تحويل رواية النظام إلى حقيقة واقعة. علاوة على ذلك، ستجادل هذه الأطروحة بأن الداعمين الإقليميين الرئيسين للأسد، إيران وحزب الله اللبناني، عزّزا أمننة الأسد، من خلال رفع مكانة الصراع الداخلي إلى مشكلة أمنية إقليمية في المنافسة السنّية الشيعية الأوسع. من أجل عدم المبالغة في دور الانتماء الطائفي في تطور الصراع، ستقرهذه الأطروحة أيضًا بالدور الاجتماعي والاقتصادي في حشد الدعم من الأقليات وقوات الأمن والإسهام في إضفاء الطابع الأمني على النظام.

البنية

بُنِيت هذه الأطروحة على النحو التالي: بعد إلقاء نظرة عامة على الانتفاضات العربية عام 2011 والاحتجاجات السورية، أعرّف الطائفية لغرض هذه الأطروحة. ومن ثم أقدّم الحجج الرئيسة لنظرية الأمننة، في إطار العمل، قبل أن أنتقل إلى تحليلي المبني على ثلاثة أجزاء: الأول أقوم بدراسة تعبئة النظام للهويات الطائفية، وتطبيق الخطوات الثلاث لنظرية الأمننة لتوضيح كيفية عمل خطاب النظام، وبدء إجراءات استثنائية وتلقي الجمهور لها، وهو ما يسهم في إضفاء الطابع الأمني الناجح على الهويات الطائفية في المراحل الأولى للصراع السوري؛ والثاني ستساعد دراسة حالة عن تاريخ قوات الأمن السورية ومفهومها في توضيح دورها كلاعب وجماهير أمننة، واستكشاف دوافعهم لترسيخ أمننة النظام ودفع الانتفاضة إلى حرب أهلية بحلول عام 2012؛ والثالث أؤكد على دور إيران وحزب الله في إضفاء بُعد طائفي عابر للحدود، وتحليل مصالحهما ودورهما في سورية. وأخيرًا، سألخص حججي في الخاتمة.

(19) - هناك أنواع أمنية متعددة متضمنة في الصراع، من ضمنها الجيش العربي السوري، وأجهزة المخابرات، والقوات شبه العسكرية وما إلى ذلك، ومع ذلك سأشير إليها تحت المصطلح الشامل لقوات الأمن.

الاحتجاجات الوطنية على الحرب الأهلية الطائفية

بدأت الانتفاضات العربية في تونس في أواخر عام 2010، بسبب حرق محمد بوعزيزي لنفسه، وهو بائع على عربة متجولة احتجّ على نقص التوظيف الرسمي في تونس [20]. كان بوعزيزي غاضبًا من الفساد الحكومي والتدهور الاقتصادي، حيث أثارت طريقة احتجاجه المتطرفة موجة ثورية اجتاحت المنطقة العربية [21]. كانت الانتفاضات العربية الأولى سلمية، حيث تجمّع المتظاهرون ضدّ النظام الاستبدادي السائد في ذلك الوقت، وضدّ قمع الحريات الفردية في منطقة آخذة في التحديث بشكل متزايد [22]. في سورية، اندلعت احتجاجات سلمية في درعا، في 15 آذار/ مارس، بعد اعتقال وتعذيب مجموعة من المراهقين الذين كتبوا شعارات ثورية على الحائط [23]. أدّت الاضطرابات في درعا إلى اندلاع انتفاضات على مستوى البلاد، مستوحاة من المزاج المتفائل المنتشر في جميع أنحاء المنطقة. كان المتظاهرون في سورية غير راضين عن التحوّل الاقتصادي السيئ الذي بدأه بشار الأسد، والذي أدّى في النهاية إلى تفاقم عدم المساواة الاجتماعية، ورمى جزءًا كبيرًا من السكان في الفقر [24]. طالب المتظاهرون بالحريات السياسية والتحديث الاقتصادي، ونزلوا إلى الشوارع للمطالبة بالتغيير.

(20) - دوراك، (2013). "الحركات الاحتجاجية والتغيير السياسي: تحليل" الانتفاضات العربية "عام 2011. مجلة الدراسات الأفريقية المعاصرة، 31 (2): ص 186.

(21) - المرجع السابق، ص. 181

(22) - صالح، (2013). "جذور وأسباب الانتفاضات العربية 2011". فصلية الدراسات العربية، 35 (2): ص 184-206.

(23) - بي بي سي نيوز. (2016). "سوريا: قصة الصراع".

https://bbc.in/3i5H3LI

(24) - ويمن، (2018). "طائفية الحرب السورية". في: ويري (تحرير)، ما بعد السنة والشيعة: جذور الطائفية في الشرق الأوسط المتغير، بحوث أكسفورد عبر الإنترنت. ص 61.

اعتقد الأسد في البداية أن "فيروس الاحتجاجات" الذي انتشر في أماكن أخرى في العالم العربي لن يطال سورية، واثقًا من سيطرته على الدولة [25]. ففي مقابلة مع صحيفة وول ستريت جورنال، في أواخر كانون الثاني/ يناير 2011، ذكر الأسد أن «سورية [كانت] مستقرة»، ويرجع ذلك إلى حد بعيد إلى «معتقدات وثيقة الصلة بالناس" [26]. أظهر الأسد دعمه لتونس ومصر، معتقدًا أن الاحتجاجات تشير إلى "حقبة جديدة" في العالم العربي، لكن من الواضح أنها لن تكون في دولته [27]. عندما انتشر فيروس الاحتجاجات في سورية، كان النظام وقواته الأمنية على استعداد للردّ بقوة فورية، في محاولة لتفريق التظاهرات منذ البداية. جاءت هذه المواجهات الأولى ضدّ حشود من الاحتجاجات غير المسلحة، التي غالبًا ما كانت تهتف «سلمية، سلمية»، بينما كان رد قوات الأمن بإطلاق النار[28]. لقد أدى قمع النظام للمطالب المشروعة إلى تأجيج الغضب العام بدلًا من إخماده. انتشرت المطالب بتنحي الرئيس، لكن حملة القمع اشتدت. بحلول تموز/ يوليو، بلغ عدد السوريين الذين يحتجون في الشوارع على النظام مئات الآلاف، وبدأ أنصار المعارضة في حمل السلاح دفاعًا عن أنفسهم ضد القمع العنيف لقوات الأمن [29]. شكّل التصعيد المستمر للعنف بين المعارضة وقوات الأمن بداية الحرب الأهلية التي بدأت أوائل عام 2012.

(25) - مرجع سابق، ليخ (2014)، ص. 41

(26) - سولومون، وسبيندل، (2011). "رجل سوريّة القوي: حان وقت» الإصلاح «. وول ستريت جورنال.
https://on.wsj.com/3l1BQ9p

(27) - المرجع السابق.

(28) - هيومان رايتس ووتش. (2011). "لم نر مثل هذا الرعب من قبل: جرائم ضد الإنسانية من قبل قوات الأمن السورية".
https://bit.ly/2UVGUSe

(29) - مرجع سابق، بي بي سي نيوز. (2016).

الإطار النظري والمفاهيمي: الطائفية ونظرية الأمننة

تعريف الطائفية

في حين أن هناك إجماعًا على أن الصراع الطائفي قد احتل أخيرًا مركز الصدارة في ديناميكيات المنطقة، فإن هناك اختلافًا كبيرًا حول كيفية تعريف مصطلح الطائفية [30]، وهذا ما يحول دون فهمنا لدورها المفترض وأهميتها في سورية. من دون تعريف مناسب يحدد حدودها، فإن الطائفيّة بصفتها مصطلحًا تخاطر بمظاهر وتفسيرات عديدة. يمكن تعريف الطائفة بصورة فضفاضة على أنها أي مجموعة اجتماعية «يشترك أعضاؤها في هوية مشتركة ويستطيعون إنشاء رابط تضامن قوي» [31]. تشترك الطائفة الدينية، وهي مجموعة جزئية أو مجموعة فرعية من دين أكبر، في هوية مشتركة على أساس ديني. يمكن أن تصبح الهويات الطائفية والمذهبية لاعبًا سياسيًا عندما يستخدم القادة التضامن الطائفي للتنافس على السلطة (المرجع نفسه). ومن ثم ستُفهَم الطائفية على أنها تسييس الاختلافات بين الطوائف داخل الدين، وهو ما يؤدي غالبًا إلى التمييز أو الكراهية أو التوترات [32]. في حين يمكن تعريف الطائفية على أنها ببساطة "الانتماء الطائفي للجماعات" أو "مناصرة القضايا المتعلقة بطائفة معينة" [33]، ستستخدم هذه الأطروحة بدلًا من ذلك فهمًا سلبيًا للمصطلح، من أجل توضيح كيف يسمح خطاب وممارسة الطائفية بتعبئة الهويات الدينية في أوقات الصراع [34].

ومع ذلك، من المهم أن نفهم أنه من خلال التركيز بشدة على التسييس، يمكن لمثل هذا التعريف أن يتغاضى عن الاعتقاد باعتباره محركًا محتملًا للتوترات الطائفية. القادة السياسيون هم نتاج مجتمعاتهم الخاصة ويعكسونها، الأمر الذي يعني أن «الدولة يمكنها فقط تضخيم الصدوع القائمة... ومن غير المرجح أن تكون قادرة على خلق صدوع جديدة بين عشية وضحاها» [35]. ومن ثم، فبينما يمكن تعريف الطائفية بمصطلحات سياسية، لا يمكن للقادة السياسيين إلا أن يتلاعبوا بالانقسامات القائمة، الكامنة عادة، في المجتمع. وعلاوة على ذلك، ستقرّ هذه الأطروحة بأن الهويات الطائفية، مثل أيّ هوية جماعية، معقدة جدًا بالنسبة إلى التعريفات المبسطة والثنائيات الثابتة مثل السنة والشيعة. في سورية، ما يقرب من 12 في المئة من السكان هم من العلويين، و64 في المئة من العرب السنة، و10 في المئة من الأكراد والنسبة المتبقية

(30) - حداد، ف. (2011) الطائفية في العراق: رؤية معادية للوحدة. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد.
حداد، ف. (2017). «الطائفية» واستياءاتها في دراسة الشرق الأوسط «. مجلة الشرق الأوسط. 71 (3): ص 363-382.

(31) - بالانش، (2018). "الطائفية في الحرب الأهلية السورية". معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى،
https://bit.ly/3y9hbUE

(32) - فيليبس، (2016). المعركة على سورية: التنافس الدولي في الشرق الأوسط الجديد. لندن: مطبعة جامعة ييل. ص. 359

(33) - مرجع سابق، حداد (2017)، ص. 377

(34) - فيليبس، (2015). "الطائفية والصراع في سورية"، فصلية العالم الثالث، 36 (2): ص 359.

(35) - مرجع سابق، حداد (2011)، ص. 7

تتكوّن من الدروز والمسيحيين والشيعة وغيرهم من الأقليات الأصغر [36]، وهو ما يشكل تعقيد التركيب العرقي والديني في سورية. لغرض هذه الأطروحة، ستستخدم الثنائيات الطائفية المبسطة بما يتماشى مع خطاب الجهات الفاعلة المبسط في الأمننة.

الخلفية النظرية: نظرية الأمننة

من أجل تطبيق نظرية الأمننة على الصراع السوري، من الضروري أولًا فهم مبادئها المركزية. تفهم مدرسة كوبنهاغن للدراسات الأمنية الأمن على أنه ظاهرة اجتماعية مبنيّة (تم بناؤها)، وهي في الأساس بناء استطرادي وليست واقعًا موضوعيًا [37]. الحجة الرئيسة لنظرية الأمننة هي أن الأمن هو فعل الكلام. من خلال تصنيف شيء ما كمسألة أمنية، يصبح الأمر كذلك [38]. في عملية الأمننة، تحاول الجهات الأمنية إعلان حالة طوارئ، مطالبة بالحق في استخدام أي وسيلة ضرورية لعرقلة التطور المهدّد، ومن ثَم تبرير ردّها [39].

تتكون عملية الأمننة الناجحة من ثلاث خطوات. في الخطوة الأولى منها، يحضر (يخرِج) إضفاء الطابع الأمني على الجهات الفاعلة الأمنية عناصر مرجعية معينة، وتهديدًا وجوديًا إلى الوجود من خلال نطقها (لفظها) على هذا النحو [40]. يقدّم الفاعلون القضية على أنها قضية ذات أولوية عليا تشكل تهديدًا في منطقة لا تُعدّ في العموم تهديدًا أمنيًا [41]. تسمح لغة الأمن هذه للقضية السياسية بالانتقال إلى عالم النفعية [الحالة التي يكون فيها شيء ما مفيدًا أو نافعًا في حالة معينة، ولكن أحيانًا لا يكون مقبولًا أخلاقيًا]. في فعل الكلام، لا يحتاج الفاعلون الذين يحوّلون تلك القضايا إلى قضايا أمنية بالضرورة إلى قول كلمة «أمن» [42]. وبدلًا من ذلك، من الأرجح أنه يمكن للمرء أن يخلق تهديدًا أمنيًا إذا تم اعتبار أن بعض الأشياء تشكل تهديدًا [43]. علاوة على ذلك، يجب أن يكون الفاعلون الأمنيون في موقع السلطة، وعادةً ما يكونون زعماء سياسيين يتمتعون بنفوذ كافٍ ليصدقهم الجمهور. ومن ثم فإن الأمننة تعتمد إلى حد بعيد على القوة والقدرة، حيث يجب أن يمتلك القادة الوسائل لبناء التهديد.

تتضمن الخطوة الثانية بدء إجراءات استثنائية لحماية الكائن/ الموضوع المرجعي. يجب أن يكون للكائن/ الموضوع المرجعي مطالبة مشروعة بالبقاء، والسماح للجهات الفاعلة بالتصرف فوق عالم السياسة العادية. يُمنَح القادة الفرصة لاستغلال التهديدات و»المطالبة بالحق في التعامل مع سيطرة وقيود أقل" [44].

(36) - مرجع سابق، فيليبس (2015)، ص. 357

(37) - مرجع سابق، درويش وفاخوري (2016)، ص. 715

(38) - وايفر (1995)، الأمننة ونزع الأمننة، نيويورك، منشورات جامعة كولومبيا، ص 54.

(39) -بوزان، ويفر، ودي وايلد، (1998). الأمن: إطار جديد للتحليل، كولورادو: منشورات رينيه، ص. 21.

(40) - مرجع سابق، مالمفيغ (2016)، ص. 9

(41) - مرجع سابق، مابون (2019)، ص. 30

(42) - مرجع سابق، وايفر (1995)، ص. 66

(43) - مرجع سابق، بوزان وآخرون (1998)، ص. 33

(44) - المرجع السابق، ص. 29

ومن ثم، فإن الأمن في نهاية المطاف يتعلق بالبقاء [45].

في الخطوة الأخيرة، يجب أن يتم تلقي فعل الكلام وقبوله من قبل الجمهور حتى يضفى الطابع الأمني على قضية ما بنجاح [46]. من دون قبول الجمهور، لا يمكن عدّ فعل الكلام سوى خطوة لإضفاء الطابع الأمني. الجمهور هو المجموعة الجماعية التي يتم توجيه عملية الأمننة إليها [47]. لا تدّعي نظرية الأمننة أن أي شيء يمكن تحويله إلى قضية أمنية بسهولة، حيث لا يوجد يقين بشأن كيفية تلقي الجمهور لأفعال الكلام ومعالجتها. إذا لم يقبل الجمهور الأمننة، «يمكننا الحديث فقط عن خطوة نحو إضفاء الطابع الأمني" [48]. ومع ذلك، ما يزال دور الجمهور في عملية الأمننة متخلفًا [49]، حتى إن بوزان ووايفر (2009) يقترحان أن من المستحيل تعريف الجماهير. ومن ثم، فإن مدرسة كوبنهاغن تُبقي مفهوم الجمهور على أنه مفهوم واسع نسبيًا، وهذا ما يستدعي تفسيرًا فرديًا. تقر هذه الأطروحة بإمكانية تعدد الجماهير في سورية. ومع ذلك، فإنني أركز على فهم جمهور الأقلية، وقبوله لأفعال خطاب النظام، التي ستستمر هذه الأطروحة في تطويرها بشكل أكبر.

تمّ تطوير نظرية الأمننة في الأصل من خلال عدسات غربية، وتعاملت مع التفاهمات الديمقراطية لقضايا الدولة والأمن. وجادل بعض العلماء والباحثين بأن مفاهيم النظريات لا تتوافق مع السياقات غير الغربية. على سبيل المثال، يعتقد غرينوود وأوليه (2013) أن النظرية تفترض مستوى أساسيًا من الاستقرار لا يمكن تطبيقه على السياقات التي لا يوجد فيها شيء مثل السياسة العادية، باستخدام مثال انتفاضة 2011 في مصر. علاوة على ذلك، جادل ويلكينسون (2007) بأن أفعال الكلام غير مناسبة للحالات غير الغربية، نظرًا لوجود قيود كبيرة على الكلام، والمناقشة والنقاش اللازم لقبول الجمهور. ومع ذلك، على الرغم من الانتقادات، تُطبّق نظرية الأمننة تطبيقًا متزايدًا على السياقات غير الديمقراطية وغير الغربية، من أجل فهم كيف يمكن للخطابات والجهات الفاعلة السياسية بناء شيء ما كتهديد أمني [50]. من خلال تكييف المفاهيم من دون تغيير معناها الأصلي (يشار إليها باسم المفهوم الذي ينتقل به درويش وفاخوري "2016")، وجد العلماء أن نظرية الأمننة توفر إطارًا ثريًا لفهم سبب وطبيعة النزاعات الإقليمية في الشرق الأوسط [51]. وجادل العلماء والباحثون بأن سياسات الشرق الأوسط، خاصة منذ عام 2011، شهدت إعادة تعريف للأمن، حيث تمت إعادة صياغة الهويات الطائفية ضمن بُعد أمني [52]. بسبب انعدام الأمن الذي تسببت فيه الانتفاضات العربية، وقامت الأنظمة بأمننة «الآخر» الطائفي من أجل إضعاف مصدر التهديد واستعادة

(45) - المرجع السابق، ص. 21.

(46) - المرجع نفسه، ص. 24

(47) - مرجع سابق، درويش وفاخوري (2016)، ص. 726

(48) - مرجع سابق، بوزان وآخرون (1998)، ص. 25

(49) - بلزاك. (2005). "الوجوه الثلاثة للأمننة: الإرادة السياسية والجمهور والسياق». المجلة الأوروبية للعلاقات الدولية، 11 (2): ص 171-201.

(50) - كابور ومابون (2018)، "مدرسة كوبنهاغن تتحول إلى العالمية: الأمننة عند غير الغرب». الخطاب العالمي، 8 (1)، ص 1.

(51) - مرجع سابق، مالمفيغ (2014، 2016، 2019)، ودرويش وفاخوري (2016)، ومابون (2019).

(52) - لورد، سيرين. (2019). «الأمننة الطائفية في تركيا في أعقاب الانتفاضات العربية 2011». مجلة الشرق الأوسط، 73 (1): ص 52.

الشرعية [53]. حتى إن عملية الأمننة عُدّت إستراتيجية سياسية من قبل الدول الاستبدادية لتقليل مطالب عام 2011 المتعلقة بالإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي [54]. من خلال دراسة الصراع السوري من منظور الأمننة واستخدام «انتقال/ ترحيل المفهوم»، تبني هذه الأطروحة على الأدبيات الموجودة من أجل زيادة فهم الأهمية المتزايدة للهوية الطائفية، ومشاركتها في سياسات الشرق الأوسط بعد عام 2011.

التحليل: أمننة الهويات الطائفية في سورية

أنتقل الآن إلى دراسة كيفية إضفاء الطابع الأمني على الهويات الطائفية من قبل نظام الأسد، بتطبيق العملية ذات الثلاث مراحل لنظرية الأمننة في سورية. ثم أقدم دراسة حالة في تاريخ ومفهوم قوات الأمن، لفهم دورها في ترسيخ الرواية الطائفية للأسد، والعمل كجهة فاعلة أمنية وكجزء من الجمهور. وأخيرًا، أقوم بتقييم الدور الثانوي للجهات الخارجية في تحويل الانتفاضة السورية إلى صراع إقليمي مقسم على أساس الخطوط الطائفية لـ «الحرب الباردة العربية الجديدة» [55] بين إيران والمملكة العربية السعودية، بالنظر إلى الداعمين الإقليميين الرئيسين للنظام، إيران، وحزب الله.

أمننة الأسد الطائفية

من أجل فهم كيفية قيام النظام بإضفاء الطابع الأمني على الاحتجاجات الأولية، ومن ثم الهويات الطائفية، من الضروري أولًا تطبيق لغة نظرية الأمننة على الانتفاضة السورية. في أعقاب الانتفاضات، اختار النظام السوري إضفاء الطابع الأمني على احتجاجات الأغلبية السنيّة باعتبارها تهديدًا وجوديًا للهدف المرجعي (الذي هو النظام نفسه). تعرّض بشار الأسد للتهديد من قبل جهة موحدة تتحدى سلطة النظام، وقرّر أن "يلعب الورقة الطائفية» [56] من أجل الحفاظ على السيطرة. كان الجمهور المستهدَف من عملية أمننة النظام هو الأقليات الدينية في سورية، التي تشمل العلويين، الذين ظلّوا الداعمين الرئيسيين للنظام القائم، إلى جانب المسيحيين والشيعة والدروز وغيرهم من الطوائف الدينية الصغيرة. إن تصوير النظام للمتظاهرين بوصفهم تهديدًا وجوديًا، سمح له بنقل القضية من السياسة العادية إلى السياسة الاستثنائية، مع إجراءات استثنائية مطلوبة لمواجهة مصدر التهديد من أجل تأمين النظام. في حين يصعب تعريف السياسة العادية في نظام استبدادي منفلت لا يمكن التنبؤ به مثل نظام الأسد، كان النظام وقواته الأمنية يتصرفون خارج الحدود الطبيعية للإجراءات السياسية [57]، من خلال قمع الاحتجاجات السلمية بشدة. بدأت الهويات الطائفية تكتسب بُعدًا أمنيًا عندما قبل جمهور الأقليات أفعال خطاب النظام. سيتم تقييم قبول الجمهور من حيث حيادية الأقليات أو دعمها أثناء الاحتجاجات الأولية، وأثناء الحرب الأهلية.

(53) - مرجع سابق، مابون (2019)، ص. 32

(54) - مرجع سابق، ماتيسين (2017)، ص. 201

(55) - مرجع سابق، غاوس (2014)،

(56) - ستوليس. (2015). "خطابات حول الطائفية و" الأقليات "في سوريا. في: F. ستوليس، (تحرير)، اللعب بالورقة الطائفية. ص 7.

(57) - مرجع سابق، بوزان وآخرون (1998)، ص. 23

وسيوضّح تقييم المراحل الثلاث للأمننة كيف ساهم خطاب النظام وممارساته في إضفاء الطابع الأمني على الاحتجاجات السلمية، ومن أين نشأ هذا الخوف الطائفي، وكيف تلقّى الجمهور هذه السردية الطائفية.

1. الخطوة الأولى: فعل الكلام

الخطوة الأولى المستبطنَة في إضفاء الطابع الأمني على النظام لانتفاضة الأغلبية السنية هي فعل الكلام، الذي يمكن تحليله من خلال الخطابات والممارسات السياسية التي اعتمدها النظام منذ بداية الانتفاضة. جاء إضفاء الطابع الأمني على الهويات الطائفية من "قرار سياسي صريح" [58] لتصوير الاحتجاجات على أنها احتجاجات إسلاميين سلفيين متطرفين وعصابات مسلحة ومجرمين وإرهابيين وما إلى ذلك، في خطابه [59]. أمرت الجهات المتحكمة في وسائل الإعلام التي تسيطر عليها الدولة بترويج هذه الرواية للأقليات التي أُخرِجت من الاحتجاجات، غير مدركة للرسالة السلمية التي تنشرها الانتفاضة. أوضحت كلمة الأسد الأولى أمام مجلس الشعب، في 30 آذار/ مارس، نهج الأنظمة المطلوب للتعامل مع الانتفاضة. أعلن أولًا عن هدفه الأساسي، مؤكدًا أن «مسؤوليته تظلّ مع حماية أمن بلاده وضمان استقرارها» [60]. اختار الأسد عدّ الاحتجاجات تهديدًا لأمن سورية واستقرارها، بدلًا من تحمل مسؤولية المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي كان شعبه يحتج عليها. في خطوة الأمننة الأولية هذه، أكّد الأسد أن المؤامرات الخارجية والأنشطة الإرهابية هي سبب الاحتجاجات، على الرغم من أن الاحتجاجات كانت ما تزال سلمية، وكان استخدام الشعارات الإسلامية نادرًا [61]. استمر النظام في نشر هذه الرواية بعد خطاب الأسد الأول للأمة. في 18 نيسان/ أبريل، أعلنت وزارة الداخلية أنها تواجه «تمردًا مسلحًا تحت شعار الجهاد لإقامة دولة سلفية» [62]. وعلاوة على ذلك، في 20 حزيران/ يونيو، ألقى الأسد خطابًا عامًا آخر للأمة، وألقى مرة أخرى باللوم على العصابات المسلحة والمؤامرات الخارجية في أعمال العنف. وذكر أن «هناك من يقتل باسم الدين، ويريد نشر الفوضى بحجة الدين»، وواصل مقارنة خصومه بجراثيم لا يمكن إبادتها [63]. في مناسبات متعددة، ربط الأسد الحركة الاحتجاجية المتنامية بالتسمية الطائفية، باستخدام الدلالات السلبية للمصطلح لتصوير أعضاء الطائفة السنية على أنهم «مذنبون بالتحريض على طائفية غير محددة» [64]. إن وجود ما يُسمّى بالمحرمات الطائفية في سورية، سمح للنظام باتهام «الآخر» بأنه طائفي، بينما صُوّرت «الذات»، التي يعبر عنها النظام، على أنها غير طائفية [65]. وكما يذكر مالمفيغ (2019: ص. 4)، فإن المحرمات الطائفية في سورية كانت تاريخيًا «شكلًا من أشكال الإسكات السياسي، أو الغموض الذي يمنع التعبيرات الطائفية

(58) - مرجع سابق، درويش وفاخوري (2016)، ص. 714

(59) - ليخ. (2012). سوريا: سقوط بيت الأسد. لندن: مطبعة جامعة ييل، ص. 101

(60) - المرجع السابق، ص. 76

(61) - المرجع السابق.

(62) - مرجع سابق، فيلبس (2016)، ص. 55

(63) - مرجع سابق، ليخ (2012)، ص. 114

(64) - مرجع سابق، حداد. (2017). ص. 376

(65) - مرجع سابق، مالمفيغ (2019)، ص. 5

العلنية في الخطاب السياسي الرسمي والنخبوي». من هنا، صوّر خطاب النظام الاحتجاجات على أنها تهديد وجودي، وبذلك فهي قضية أمنية منذ البداية، مستخدمًا مصطلحات غامضة عمدًا، لكنها سلبية الشحنة لأغراض سياسية.

استخدم النظام السردية الطائفية من خلال أفعاله الخطابية، بهدف نزع الشرعية عن المتظاهرين، وتحييد التهديد السياسي للنظام، وحشد المشاعر المؤيدة للنظام [66]. من خلال إضفاء الطابع الأمني على الاحتجاجات باعتبارها تهديدًا لبقاء النظام، سعى الأسد لاستغلال نقاط الضعف الموجودة من قبلُ في المجتمع السوري. كانت إحدى نقاط الضعف الموجودة سابقًا هي اضطهاد الأقليات، وخاصة العلويين، في مواجهة الهيمنة السنّية. كان النظام يعتقد أن الأقليات قد استفادت من سيطرة العلويين المستمرة منذ أكثر من أربعين عامًا، لكونها قامت بحمايتهم، ولعب على مخاوف مما يمكن أن يحدث إذا تمت إطاحة الأسد، وتولى نظام محافظ يهيمن عليه السنّة السيطرة، ويسعى للانتقام. عملت أفعال خطاب النظام على إضفاء الطابع الأمني على الانتفاضة باعتبارها تهديدًا وجوديًا للأقليات على وجه الخصوص، وهو ما أثار مخاوف من اضطهاد الأقليات من التطرف السنّي [67]. وضع النظام بشكل أساسي حماية الأسد في صلب حماية الأقليات، وهذا ما يعني ضمنًا أنه «إذا ذهبنا، فسوف تتركون (الأقليات) للذئاب» (حوري، 2011). كما تنص نظرية الأمننة، فإن الكائن المرجعي الذي يتعرض للتهديد الوجودي له بالتأكيد حق شرعي في البقاء [68]. من خلال ربط بقاء النظام ببقاء الأقليات، أُجبِرت الأقليات على الخوف من حركة المعارضة، بهدف تأمين الدعم، أو على الأقل تحييد أولئك الذين لم يشاركوا في الانتفاضة الأولية، وتبرير قمع النظام.

علاوة على ذلك، من خلال ربط الهويات الطائفية بالصراع الدائر، تهدف أفعال خطاب النظام إلى تعزيز الفصل بين «الذات»، كونها أقليات، و«الآخر»، كونهم المحتجين السنّة [69]. ومن شأن الفصل بين «الذات» و«الآخر» أن يدفع الأقليات إلى الشعور بمزيد من الولاء والأمان داخل مجتمعاتهم، ومن ثم مع النظام. كما قال بوزان، يمكن أن تؤدي لغة الأمن إلى «التراجع إلى هويات مجتمعية محددة، والتركيز على التمسك بالمعايير الثقافية لتعزيز التماسك المجتمعي» [70].

بالإضافة إلى ذلك، فإن استخدام النظام لمصطلحات ذاتية وغير محددة مثل الإرهاب لتعريف حركة الاحتجاج، سمح للأسد بالاستفادة من تجربة العراق مع النشطاء الدينيين المتشددين والصراع الطائفي العنيف. شهد العراق، وهو جار لسورية، ومتنوع إثنيًا ودينيًا، مذابح طائفية خطيرة في أعقاب سقوط صدام حسين في عام 2003. وعلى وجه الخصوص، قام المتطرفون السنّة والشيعة في العراق باضطهاد المسيحيين بشدة، وهذا ما تسبب في تضاؤل المجتمع المسيحي بنحو 83 في المئة في العراق [71]. بلغة نظرية الأمننة، «من

(66) - مرجع سابق، حداد (2017)، ص. 376

(67) - مرجع سابق، مالمفيغ (2014)، ص. 157

(68) - مرجع سابق، بوزان وآخرون (1998)، ص. 36

(69) - مرجع سابق، درويش وفاخوري (2016)، ص. 725

(70) - بوزان، (2003). "الأمن المجتمعي والأمن الأوروبي"، في وايفروآخرون (تحرير)، الهوية والهجرة والأجندة الأمنية الجديدة في أوروبا. لندن، بينتر، ص. 191

(71) - غاردنر، (2019). "مسيحيو العراق على وشك الانقراض". بي بي سي نيوز.
https://bbc.in/3iXdbQF

المرجح أن يتمكن المرء من إنشاء تهديد أمني إذا أمكن الإشارة إلى أشياء معينة يُعتقد أنها تشكل تهديدًا بشكل عام» [72]، وهذا ما يبرر استخدام النظام السوري لمصطلحات غامضة مثل الإرهاب. وهكذا، كان خطاب النظام يهدف إلى خلق مناخ معاد للأقليات، وإثارة المخاوف من البديل من أجل حشد التأييد.

2. الخطوة الثانية: بدء الإجراءات الاستثنائية

بينما كان النظام يصف المتظاهرين بأنهم إرهابيون إسلاميون وعصابات مسلحة وبلطجية طائفيون، صدرت أوامر لقوات الأمن باستخدام القوة المفرطة غير المتناسبة ضدّ التظاهرات السلمية. قُدّمت القوة المستخدمة ضد المتظاهرين على أنها ضرورية من أجل تأمين وحماية النظام كهدف مرجعي. أدّى بدء الإجراءات غير العادية إلى تعزيز أفعال خطاب النظام، حيث سمحت خطوات الأمننة المتعمدة للمخاوف بالانتشار في مقدمة الخطاب الرسمي للدولة. على سبيل المثال، ورد أن النظام سلّم أسلحة للقرويين العلويين حول مدينة جسر الشغور، في حزيران/ يونيو، بعد قمع الاحتجاجات في تلك المدينة ذات الأغلبية السنّية [73]. من خلال نشر المخاوف من أن المتظاهرين في المدينة ذات الأغلبية السنّية سيهاجمون بوحشية القرويين العلويين، استغلّ النظام المخاوف من ضعف الأقليات، وقدّم النظام نفسه كحاميهم الوحيد. وعلاوة على ذلك، قام الشبيحة، وهم الميليشيا العلوية الموالية للأسد، بتسليم أكياس الرمل للقرويين العلويين، بدعوى أن أكياس الرمل ستحميهم من هيجان السنّة القادم [74]. في حين أن أنشطة الشبيحة لا ترتبط دائمًا بشكل مباشر بالدائرة الداخلية للأسد، لكن من يقودهم هم أفراد منحدرون من عائلة الأسد، وهذا ما يسمح للأسد بالاستفادة من ولائهم الشديد مع تجنب الارتباط المباشر بهم [75]. بالإضافة إلى ذلك، بثّت الحكومة كثيرًا من التقارير حول القصص ومقاطع الفيديو التي أظهرت سلوكًا عنيفًا متعمدًا من قبل السنّة ضد العلويين. على سبيل المثال، صُوّر زعيم معارضة بارز في حمص وهو يهتف «أبيدوا العلويين» [76]. ترافق خطاب النظام الطائفي الآن مع أعمال عنف طائفية ضد العلويين، لتأكيد السردية التي تمت حياكتها، ولتبرير المزيد من القمع الشديد من قبل قوات الأمن وإجراءاتها المتطرفة.

3. الخطوة الثالثة: تلقي فعل الكلام

إن تلقي فعل الكلام هو المرحلة الثالثة من الأمننة، وهذا ما يستدعي التحقيق في الجمهور المستهدف من النظام، وميله إلى قبول أفعال الكلام المذكورة أعلاه، وبدء إجراءات استثنائية. يتم إضفاء الطابع الأمني على القضية عندما يقبلها الجمهور على هذا النحو. ومن ثم، فإن عملية الأمننة الناجحة لا تكمن في «الذات أو الموضوع، ولكن بين الذاتيات/ الذوات" [77]. ومع ذلك، فقد تم تصور نظرية الأمننة في الأصل لفهم القضايا الأمنية داخل الديمقراطيات، بافتراض ضمني بأن قبول الجمهور سيتحقق من خلال الممارسات

(72) - مرجع سابق، بوزان وآخرون (1998)، ص. 33

(73) - مرجع سابق، بالانش (2018)، ص. 8

(74) - فيلبس (2015)، "الطائفية والصراع في سورية"، فصلية العالم الثالث، 36 (2): ص. 369

(75) - هوليداي، (2013). "نظام الأسد: من مكافحة التمرد إلى الحرب الأهلية". معهد دراسة الحرب، ص. 7

(76) - مرجع سابق، ليخ (2012)، ص. 108

(77) - مرجع سابق، بوزان وآخرون (1998)، ص. 32

الديمقراطية مثل الجدال والمناقشة الحرة [78]. ومع ذلك، في حالة الشرق الأوسط، لا يمكن الحصول على موافقة الجمهور من خلال مثل هذه الممارسات، حيث إن الطبيعة الخاضعة للرقابة الشديدة لكثير من الأنظمة الاستبدادية تمنع النقاش المفتوح. وبذلك، يجب فهم موافقة الجمهور من خلال وسائل أكثر دقة وحذاقة. سيُفَهم قبول الجمهور في سورية من خلال قرار العلويين، وقرار الأقليات الأخرى، بالبقاء بعيدًا عن الاحتجاجات، وكما قال بالانش (2018: ص. 36)، ظلّوا «موالين بشدة للأسد منذ بداية الحرب». من خلال التزام الصمت، منع هذا الشكل من موافقة الجمهور على إنشاء جبهة موحدة قادرة على إسقاط النظام، وهو ما منح الأسد قاعدة دعم كبيرة للبقاء في السلطة. بالإضافة إلى ذلك، فإن استيعاب الجمهور لأفعال خطاب النظام منح الشرعية لقوات الأمن القمعية العنيفة، وحملة العنف المستمرة للنظام [79]. ومع ذلك، لا يمكن اعتبار الأقليات مجتمعًا دينيًا موحدًا يدعم النظام السوري وأفعاله من دون قيد أو شرط [80]. وبدلًا من ذلك، سيساعد تقييم سياق وضعهم الحالي في فهم تضامنهم المتصوّر، وكيف تمكن الأسد من تأمين دعمهم بشكل إستراتيجي.

يُعدّ تاريخ الانقسامات الطائفية المسيّسة الطويل في سورية أمرًا أساسيًا لفهم قبول الجمهور، وأمننة النظام بنجاح. في حين كان دور النظام محوريًا في إشعال الصراع الطائفي، لم يستطع سوى إثارة المخاوف الموجودة بعمق في المجتمع السوري [81]. من خلال النظر إلى ما بعد الخطاب السياسي الرسمي، وإلى خصوصيات الهوية الطائفية على الأرض، يمكننا أن نفهم كيف أصبحت رواية الأسد الطائفية حقيقة واقعة، وكيف عُرّفت الحرب بمصطلحات دينية. المخاوف من اضطهاد الأقليات والحكم القمعي للمسلمين السنّة ليست مخاوف جديدة، بل هي رواية متكررة في تاريخ الشرق الأوسط الحديث في أعقاب الصراع [82]. في سورية، تنبع مخاوف العصر الحديث من الاضطهاد الناجم عن هيمنة السنّة منذ مرحلة الانتداب الفرنسي، حيث أصبحت الهويات الطائفية مسيّسة في ظلّ إستراتيجية فرّق تسد [83]. قبل الانتداب الفرنسي، قمعت الأغلبية السنّية إلى حد بعيد الأقليات في الإمبراطورية العثمانية، وميزت المسلمين غير السنّة مثل العلويين والدروز [84]. على وجه الخصوص، كان العلويون هم أفقر الفلاحين في سورية، وقد أُجبروا على العمل لصالح ملاك الأراضي السنّة في الجبال الساحلية في شمال سورية [85]. ومع ذلك، لم يتم إضفاء الطابع المؤسسي على الاختلافات في النظام حتى الانتداب الفرنسي. في ظلّ الإدارة الفرنسية، رُوّج للخلافات الدينية والعرقية عمدًا من أجل إخضاع القومية العربية، وتثبيط حركة الاستقلال الوطني التي يقودها السنّة، التي يُنظر

(78) - مرجع سابق، درويش وفاخوري (2016)، ص. 726

(79) - المرجع السابق.

(80) - خضور، (2015). "غيتو ضابط الأسد: لماذا يبقى الجيش السوري مواليًا". فوكس، ص. 11
https://bit.ly/3i73eRy

(81) - مرجع سابقن بالانش (2018).

(82) - مرجع سابق، ليخ (2012)، ص. 106

(83) - مرجع سابق، فيلبس (2015)، ص. 364

(84) - المرجع نفسه، ص. 363

(85) - فيلدز. (2012). "جذور التنافس العلوي السني في سورية". سياسة الشرق الأوسط، 19 (2): ص. 151

إليها على أنها تهديد للحكم الفرنسي [86]. على وجه التحديد، وضع الانتداب الفرنسي طوائف مختلفة على رأس مجموعة متنوعة من الفروع المؤسسية للحكومة، وهذا ما يعني أن إحدى المجموعات العرقية أو الدينية تهيمن على المؤسسة. كان السنّة مهيمنين في السياسة وبين سلك الضباط والشرطة، بينما كان العلويون مسيطرين على الجنود [87]. من خلال الجيش، تحسّن الوضع الاجتماعي والاقتصادي للعلويين، وتمتعوا بدخل آمن ودور اجتماعي متزايد. رأى الفرنسيون الوجود العسكري العلوي بمنزلة ثقل موازن للهيمنة السنّية، بينما نظر العلويون إلى الفرنسيين على أنهم حماة لهم من العدوان السنّي. ومن ثم، استفاد العلويون إلى حد بعيد من الحكم الفرنسي، واكتسبوا الحكم الذاتي الإقليمي، واندمجوا في الجيش [88]. من الواضح أن الفرنسيين سعوا لتحقيق الأمن من خلال بناء علاقات ودّية مع الأقليات، لكن إدارتهم أدت في نهاية المطاف إلى تفاقم العلاقات بين الأغلبية السنّية والأقلية العلوية، وهو ما أعاق تطوير أي ولاء متماسك لدولة قومية سورية خلال حقبة الاستقلال وما بعدها [89].

خلال حقبة الاستقلال، سيطر الضباط العلويون على حزب البعث، وشرعوا بالانقلابات في أعوام 1963 و1966 و1970 [90]. انقضّ حافظ الأسد من خلال حزب البعث، ووصل إلى السلطة في عام 1970. وخلال مدة حكمه التي استمرت ثلاثين عامًا، قدّم خطابًا قوميًا شاملًا، لكنه في النهاية اتبع إستراتيجية فرِّق تسد مماثلة للإستراتيجية الفرنسية. بينما روّج حافظ لغطاء من الهوية الوطنية السورية والعلمانية، أُعيد إنتاج الهويات الطائفية المسيّسة، وإضفاء الطابع المؤسسي عليها في الوقت نفسه. نظّم حافظ نظامه حول شبكة من العلويين الموالين، مفضلًا أفراد طائفته المهمشة تاريخيًا، وخاصة في القوات الأمنية [91]. لقد صور نظامه بمهارة على أنه حامي الأقليات، وهو ما أدى إلى إحباط الأغلبية السنّية التي حكمت تقليديًا البلاد قبل السبعينيات [92]. وأُجبِرت الأقليات على الخوف من البديل للحكم العلوي، حيث ظلّ الشعور بالتفوق السنّي والهيمنة في الثقافة السورية [93]. أضافت جماعة الإخوان المسلمين عنصرًا طائفيًا مهمًا إلى المجتمع السوري، سعيًا لفضح الوجه الطائفي المفترض للنظام. صلّبت طبيعة خطاب الإخوان المسلمين ضد العلويين الهوية الطائفية بين بعض العلويين، ووجدت جمهورًا بين النخبة السنّية المهجّرَة [94]. الإغلاق الوحشي لمذبحة حماة، عام 1982، ضدّ الإخوان المسلمين سمح لحافظ بتقديم نظامه على أنه حامي الأقليات في مواجهة التطرف السنّي. ومن ثم، لعب حافظ بالورقة الطائفية بمهارة وإستراتيجية، معتقدًا أنه يمكن أن يضمن

(86) - المرجع نفسه، ص. 149

(87) - المرجع نفسه.

(88) - المرجع نفسه، ص. 148

(89) - المرجع نفسه، ص. 151

(90) - مرجع سابق، فيلبس (2015)، ص. 364

(91) - علي، م. (2019). "استخدام الأقليات كسلاح في سورية وخارجها». مجلة جورج تاون للشؤون الدولية.

(92) - فيليبس، وفالبورن. (2018). "أي اسم؟: دور الهويات (المختلفة) في الحروب المتعددة بالوكالة في سورية". الحروب الصغيرة والتمردات، 29 (3): ص. 8

(93) - مرجع سابق، فيلبس (2015)، ص. 366

(94) - المرجع نفسه

استمرار نظامه من خلال ولاء طائفته المهمشة تاريخيًا [95]. ومع ذلك، فقد سُمِح للمخاوف من العدوان السنّي بالتكاثر تحت السطح، مخبأة بمشاعر علمانية غامضة للنظام.

بدا في البداية أن بشار الأسد قد يخفف من المحسوبية القائمة على الطائفية التي مأسسها حافظ، إذ تزوج من عائلة سنّية، وأنه سيعزز الإصلاح الاقتصادي الليبرالي عبر الطوائف. ومع ذلك، على الرغم من تزايد الحوار حول التغيير، ظلت دوائر النخبة في الغالب علوية، وحافظت على تصورات النظام على أنه نظام علوي [96]. عندما احتجّ السوريون على إصلاحات النظام الاقتصادية التي أُسيء إدارتها في عام 2011، لجأ بشار إلى إحياء التوترات الطائفية منذ بدايات الاحتجاجات. لقد كان قادرًا على استغلال الانقسامات الطائفية نفسها التي جعلها الفرنسيون مؤسسية، وأعاد والده التأكيد عليها، ناقلًا رواية تستند إلى مخاوف من نظام سنّي طائفي عنيف محتمل. كما ذكر هارلينغ [97]، سعى النظام لإقناع المجتمع العلوي «بأنه يخاطر بالتعرض للذبح على أيدي حركة معارضة تم تصويرها على أنها إرهابية قاتلة... الأصوليون السنة [و] المؤامرات العالمية»، وهذه الرواية التي صورت نظام الأسد على أنه متسامح دينيًا، وجدت جمهورًا متقبلًا بين الأقليات الدينية في سورية. كما ذكر بالانش (2018: ص. 36)، رأى كثير من العلويين أن «الحرب هي معركة وجودية ضد تهديد إسلامي سني». نظرًا لأن الظروف المرتبطة تاريخيًا بالتهديد تلعب دورًا مهمًا في إضفاء الطابع الأمني على حدث ما [98]، فقد سمحت مشاعر عدم الأمان المتجذرة بين الأقليات بتحويل رواية الأسد إلى حقيقة [99]. أصبحت الأقليات تخشى على بقائها في مواجهة العدوان السنّي، وعدّت النظام مصدر حمايتها. وبالتالي، من خلال استغلال المخاوف الموجودة مسبقًا، نجح الأسد في إضفاء الطابع الأمني على الهويات الطائفية، وإيجاد جمهور متجاوب بين الأقليات المضطهدة تاريخيًا في سورية.

ومع ذلك، لا ينبغي المبالغة في دور الانتماء الطائفي في الصراع السوري، حيث لا يمكن عدّ الأقليات كيانًا واحدًا بمعتقدات أحادية البعد. وكما قال هيرد (2013)، فإن تشكيلة السوريين لا تتناسب بدقة مع «صناديق الهوية الدينية التي تتطلبها السردية الطائفية». إن الميل إلى الادعاء بأن السردية الطائفية التي يرسّخها النظام قد تم تصديقها بالفعل، هو فهمٌ بدائي للصراع. وكما أنه خيار سياسي لا بد من إضفاء الطابع الأمني عليه، فهو أيضًا خيار سياسي لقبول الأمننة [100]، وهو ما يستدعي إجراء تحقيق في قبول الجمهور خارج الانتماء الطائفي. كان العامل المحوري الذي حفّز دعم النظام وأمننة الهويات الطائفية هو المصلحة الاجتماعية والاقتصادية. بالنسبة للجزء الأكبر، فقد دعمت النخب التجارية والطبقة الوسطى الحضرية

(95) - مرجع سابق، ليخ (2012)، ص. 31

(96) - العمر، س. (2016). "كيف قسم حافظ الأسد الطائفة العلوية». الأخبار بعمق.
https://bit.ly/3f2bVuo

(97) - هارلينغ، (2012). «مرحلة التطرف في سورية"، موجز سياسة مجموعة الأزمات الدولية 33 (10) ص. 4

(98) - وايفر، أو. (2000). «الاتحاد الأوروبي بصفته فاعلًا أمنيًا: تأملات من بنائي متشائم بخصوص الأنظمة الأمنية في مرحلة ما بعد السيادة». في: كيلستروب ووليامز (تحرير)، نظرية العلاقات الدولية وسياسة التكامل الأوروبي: القوة والأمن والمجتمع. لندن: روتليدج. ص 252

(99) - خضور، (2015). "معضلة العلويين". في: ستوليس (تحرير)، اللعب بالورقة الطائفية، ص. 26،
https://bit.ly/3iYXEzM

(100) - مرجع سابق، بوزان وآخرون (1998)، ص. 29

في سورية النظام، بغضّ النظرعن طائفتهم [101]. لم يكن لدى النخب الاقتصادية القوية ما يدعوها إلى عضّ اليد التي أطعمتها، معتبرة أن حركة المعارضة المتنامية «خطرة على مناخ الأعمال/ البزنس" [102]. يوضّح عدم وجود احتجاجات كبيرة مناهضة للنظام في أكبر وأغنى مدينتين في سورية، حلب ودمشق، حيادية كثير من النخب التي هيمنت على سكان هاتين المدينتين [103]. أولى نظام الأسد قدرًا كبيرًا من الاهتمام بدمشق وحلب، وهو ما سمح للمواطنين بالاستفادة من «الاستثمار الأجنبي وتحسين البنية التحتية والمواقع السياحية» [104]. نظرًا لأن العلاقة بين المتحدث والجمهور تملي إلى حد بعيد احتمال قبول الجمهور بالمزاعم المقدمة [105]، فقد يكون أولئك الذين يعيشون في المدن الغنية أكثر ميلًا للبقاء في مجال حماية الأسد لأسباب اقتصادية بدلًا من الأسباب الطائفية. لذلك، قد تكون الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي حفّزت الاحتجاجات الأولية قد حافظت أيضًا على مستوى من الدعم للنظام بعيدًا عن الانتماء الطائفي.

بالإضافة إلى ذلك، في حين أن الأقليات قد تكره النظام الدكتاتوري، مثلها مثل الجماعات الأخرى، فهي متورطة بشدة مع النظام، وهذا ما يضعها في موقف حرج. كما ذكرنا سابقًا، هيمن العلويون على المؤسسات الاقتصادية والعسكرية التي تديرها الدولة، وحقّقوا الاستقرار المالي من خلال تأمين الوظائف الحكومية والاستفادة من الحوافز الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تأتي مع العمل لصالح النظام [106]. نظرًا لأن معيشة كثير من الأقليات تعتمد على هذه المؤسسات التي تديرها الدولة، فإن الظروف الاجتماعية والاقتصادية تدعم بشكل كبير تضامنهم مع النظام [107]. من خلال دمج المصالح الاجتماعية والاقتصادية مع رواية النظام أن الصراع معادٍ للعلويين، اعتبرت الأقليات أن بقاءها يكمن في بقاء النظام، سواء كان ذلك على أساس طائفي أم اقتصادي.

كما ساعدت نظرية الأمننة في تعزيز الادعاء، سعى النظام لمفاقمة الانقسامات الطائفية من خلال أفعاله الخطابية وبدء إجراءات استثنائية، بهدف الحفاظ على مستوى من السيطرة وقمع نمو الحركة الاحتجاجية. ومع ذلك، من خلال إعادة إشعال الانقسامات الكامنة ونشر المخاوف من البديل للحكم العلوي، تسبب النظام في خروج المتظاهرين عن الرسالة الطبقية في البداية، والانقسام إلى شكل طائفي مناهض للحكومة. أثارت أمننة الأنظمة الهويات «الطائفية المضادة بين المعارضة» [108]، وهو ما ساعد على دفع البلاد إلى حرب أهلية. بعد مشاهدة القمع العنيف للاحتجاجات ذات المطالب المشروعة، أصبحت المعارضة ذات الأغلبية السنّية أكثر تطرفًا، وهذا ما خلق حركة منسقة بشكل متزايد لإطاحة الحكم العلوي بدلًا من الاحتجاج

(101) - مرجع سابق، ليخ (2012). ص. 95

(102) - مرجع سابق، بالانش (2018)، ص. 14

(103) - مرجع سابق، ليخ (2012). ص. 95

(104) - المرجع نفسه.

(105) - مرجع سابق، بوزان وآخرون (1998)، ص. 33

(106) - مرجع سابق، بالانش (2018).

(107) - مرجع سابق، خضور (2015)، ص. 11

(108) - هاينبوش، (2019). "الطائفية والحكم في سوريا". دراسات في العرقية والقومية، 19 (1): ص 60

فقط من أجل التغييرات الاقتصادية [109]. من هنا، تحولت ممارسات وخطابات الأمننة التي تبناها النظام إلى نبوءات تحقق ذاتها، وهو ما أدى إلى خلق خطوط المعركة الحالية للحرب الأهلية. تم استيعاب الطائفة العلوية بشكل أكبر في النظام وقوات الأمن، والطائفة السنّية في المعارضة، ما دفع الطرفين إلى السعي للحرب كصراع وجودي [110]. من خلال تقييم مهم لدور العوامل الاجتماعية والاقتصادية، يتضح أن قبول الجمهور لم يكن قائمًا على الانتماء الطائفي فقط، إذ أدت الانقسامات الاجتماعية أيضًا إلى نشر المخاوف من بديل الحكم العلوي. ومع ذلك، كما قال بالانش (2018: ص. 11)، من الواضح أن الحرب أجبرت السوريين على «التشبث بهوياتهم الطائفية بشكل أكثر إحكامًا، سواء بدافع المصلحة الاجتماعية والاقتصادية أم لمجرد البقاء على قيد الحياة». في حين أن قبول الجمهور لا يعني بالضرورة الإيمان الكامل بأفعال الكلام، فمن الواضح أن المخاوف من البديل برّرت القرارات لإظهار بعض مظاهر التضامن مع النظام، وقبول إضفاء الطابع الأمني عليها.

بعد ذلك، ستساعد دراسة الحالة في تاريخ ومفهوم قوات الأمن التابعة للأسد على زيادة الفهم لأمننة الصراع، وتقييم دورها في دفع الصراع إلى حرب أهلية.

دراسة حالة: دور قوات أمن الأسد

يعود نجاح النظام في المراحل الأولى من الانتفاضة بشكل كبير إلى ولاء الأجهزة الأمنية في تنفيذ أوامر النظام. لم يكن لدى نظام الأسد صلاحيات إقناع كاملة، وهو ما سمح لقوات الأمن بإضافة بُعد مادي في مقدمة خطاب النظام. تشير التقديرات إلى أن بضعة آلاف فقط من أصل 220 ألف فرد من الجيش قد انشقوا خلال صيف عام 2011 [111]. تتطلب الثورة السلمية الناجحة الانقسام بين النظام وقوات الأمن، ولكن في حالة سورية، فإن ولاء الأجهزة الأمنية سمح للنظام «بالاحتفاظ بقدراته القسرية والاستدلالية» وقمع الثورة [112].

لماذا بقيت قوات الأمن موالية في وجه المتظاهرين السلميين، ولماذا تسبب قمعهم في خروج المعارضة عن الشكل الطبقي ولجؤوا إلى التعبئة على أسس طائفية؟ ستساعد نظرة عامة على تاريخ ومفهوم قوات الأمن في توضيح دورها في تشكيل الحرب الأهلية السورية، وترسيخ الرواية الطائفية للأسد. علاوة على ذلك، يجب تقييم دورهم كمستمعين وكفاعلين في الأمننة من أجل فهم دوافعهم في القتال إلى جانب الأسد.

1. تاريخ قوات الأمن ومفهومها

كما قيل سابقًا، غذت كليبتوقراطية (نظام لصوصية) الأسد تصورات الامتياز الطائفي لأكثر من أربعة

(109) - مرجع سابق، ليخ (2012)، ص. 101

(110) - هاينبوش (2020)، المعركة على إعادة إعمار سورية، السياسة العالمية، 4 (1)، ص. 114

(111) - نيبستاد، (2011). "المقاومة اللاعنفية في الربيع العربي: الدور الحاسم للتحالفات العسكرية والمعارضة". مجلة العلوم السياسية السويسرية، 17 (4): ص 488.

(112) - مرجع سابق، هاينبوش (2019)، ص. 55.

عقود [113]. كانت إحدى الوسائل الرئيسة التي تم من خلالها إضفاء الطابع المؤسسي على الامتيازات الطائفية من خلال قوات الأمن. وكان حافظ الأسد قد لجأ إلى تأكيد الهويات الطائفية التي رفضها حزب البعث السابق؛ معتقدًا بأن السبيل الوحيد لضمان الاستقرار هو من خلال بناء قوة أمنية موثوقة. أنشأ حافظ «سلسلة شخصية وشخصية جدًا من القيادة، تصل مباشرة من الرئيس إلى قادة الوحدات الفردية» [114]، وهذا ما يضمن لأصدقائه المقربين وأفراد أسرته قيادة أعلى الرتب. كما قال بالانش (2018: ص.7)، اتبع حافظ إستراتيجية «لجعل المجتمع العلوي مجتمعًا مواليًا متماسكًا مع إبقاء الأغلبية السنية في سورية منقسمة». ومع ذلك، أصبحت سورية دولة بوليسية، تفرض الاستقرار من خلال التهديد بقمع بالقوة الوحشية. على سبيل المثال، عندما حاول الإخوان المسلمون التمرد ضد النظام، في عام 1982، نشر حافظ بشكل انتقائي أكثر وحداته العلوية موثوقية من الناحية السياسية مع مهمة تنفيذ أوامره [115]. قمع الجيش الذي يهيمن عليه العلويون بوحشية محاولة التمرد الإسلامي، حيث أسفر عن مقتل ما يقرب من 20 ألف شخص في حماة [116]. ولم يوضّح هذا الحدث ولاء القوات الأمنية فحسب، بل أظهر تداعيات مجابهة حكم النظام. كان نهج بشار الأسد في المراحل الأولى من الصراع مدعومًا بشكل كبير بإستراتيجية والده لفرض الاستقرار (كما رأينا في مذبحة حماة) [117]. كان بشار قد سار بالفعل على خطى والده، حيث تلاعب بأكثر حلفائه ولاءً في جهاز الأمن العسكري والوزارات الحكومية وحزب البعث [118]. عندما بدأت الانتفاضات، كان قادرًا على الاستفادة من مفهوم قوات الأمن من أجل تنفيذ أوامره.

2. السردية الطائفية

لا يساعد التاريخ الطائفي ومفهوم القوات الأمنية في توضيح امتثال القوات فحسب، بل يساعد أيضًا في توضيح كيف كانت القوات أساسية في ترسيخ السردية الطائفية التي أثارها النظام. منذ بداية الانتفاضات السورية، كان النظام حريصًا على اختيار قواته، وتحوّط من الانشقاقات من خلال الاعتماد على مفارز صغيرة من القوات الأمنية الأكثر ولاءً له التي يهيمن عليها العلويون. [119]. ولأن غالبية المتظاهرين من السنّة، فقد اختار النظام عدم الاعتماد على التشكيلات السنّية في الجيش، خشية أن ينشقوا بشكل جماعي [120]. ترأس ماهر الأسد، الأخ الأصغر للرئيس، الفرقة الرابعة المدرعة وهي النخبة في الجيش السوري، وكذلك الحرس

(113) - سالاماندرا، (2014). «الطائفية في سورية: تأملات أنثروبولوجية". نقد الشرق الأوسط، 22 (4): ص 305.

(114) - مرجع سابق، هوليداي (2013)، ص. 12.

(115) - المرجع السابق.

(116) - ويكستروم، (2011). "سورية مملكة الصمت». الجزيرة،
https://bit.ly/3BPq6Nh

(117) - المرجع السابق، ص. 12.

(118) - مرجع سابق، ليخ (2012)، ص. 50.

(119) - مرجع سابق، هوليداي (2013)، ص. 13.

(120) - مرجع سابق، ليخ (2012)، ص. 105.

الجمهوري [121]. ظلّت الفرقة الرابعة المدرعة «وحدة النخبة التي لا غنى عنها» للأسد منذ بداية الانتفاضة [122]. وتشير التقديرات إلى أن 80 في المئة من رتب الفرقة هم من العلويين، وهذا ما أعطى الاضطرابات بُعدًا طائفيًا لا يمكن إنكاره، عندما حاصرت القوات ذات الأغلبية العلوية الاحتجاجات السنّية [123]. كما ذكر هاينبوش (2019: ص. 55)، فإن تجنيد واستخدام "الوحدات العسكرية والميليشيات المجندة من العلويين لقمع الاحتجاجات المركزة في المناطق ذات الأغلبية السنية"، أثّر تأثيرًا مباشرًا على المعارضة لاكتساب بُعد طائفي. بينما أثارت أفعال خطاب النظام المخاوف بين العلويين والأقليات الأخرى، أدى عنف قمع قوات الأمن العلوية للاحتجاجات السلمية إلى تأجيج المعارضة السنّية للالتفاف حول الخطوط الطائفية، وهذا ما أعطى الصراع بُعدًا طائفيًا نهائيًا.

3. المخاوف الاجتماعية والاقتصادية

ومع ذلك، من المهم عدم المبالغة في دور الولاء الطائفي في فهم ولاء قوات الأمن المتصورة. في حين اختير كثير من ضباط النخبة من عائلة الأسد المتماسكة جدًا، فإن كثيرًا من الضباط العلويين موجودون خارج تلك الدائرة، وهو ما يستدعي إجراء تحقيق في دوافعهم للبقاء قوة علوية متماسكة إلى حد بعيد تعزز رواية الأسد. يخشى كثير من أفراد قوات الأمن الانتقام إذا لم يمتثلوا لأوامر النظام، حيث يسمعون قصص الجنود الذين تعرّضوا لإطلاق النار أو التعذيب عندما تحدوا الأوامر. قابلت هيومن رايتس ووتش جنديًا من الحرس الجمهوري كان قد انشق بعد انتشار وحدته لقمع احتجاج في حرستا في 18 نيسان/ أبريل 2011. وفي حرستا، قال القادة للجنود إنهم ينتشرون للتعامل مع «الميليشيات المسلحة، لكن ما رأوه عند وصولهم كان تظاهرة سلمية" [124]. أُعطت للجنود «أوامر واضحة بإطلاق النار من دون قيد أو شرط» [125]. كانت الرغبة في الحماية الذاتية قد حفزت الامتثال في مواقف متعددة مماثلة لهذا. بالإضافة إلى ذلك، من الواضح أن قوات الأمن تغذت بسردية طائفية إضافة إلى مخاوفها من الانتقام، وقيل لها إنها تواجه «الميليشيات المسلحة»، لا الاحتجاجات السلمية. على الرغم من أن بعض أعضاء قوات الأمن عارضوا نظام الأسد، مثلهم مثل الجماعات الأخرى، فقد تورطوا بشدة مع النظام الحالي، وهذا يجعلهم لا يخشون انتقام الأسد فحسب، بل انتقام المعارضة في حال سقط الأسد. على وجه الخصوص، ينحدر حوالي 50 ألف من العسكريين السوريين من الضاحية، "ضاحية الأسد"، التي يهيمن عليها العلويون [126]، ويتمتعون بمزايا السكن العسكري وحياة بعيدة عن الاختلاط بالمجتمع السوري الأوسع وعن الطوائف الأخرى. يعني السكن العسكري أن ثروات الضابط الشخصية والعائلية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا ببقاء النظام. أثّر الوضع غير المستقر للضباط، داخل هذه الضاحية وخارجها، في كثيرين للنظر إلى انتفاضات عام 2011 على أنها «تهديد شخصي لأملاكهم وسبل

(121) - مرجع سابق، هوليداي (2013)، ص. 44.

(122) - المرجع نفسه.

(123) - المرجع نفسه.

(124) - هيومان رايتس ووتش. (2011). «لم نر مثل هذا الرعب من قبل: جرائم ضد الإنسانية من قبل قوات الأمن السورية».

(125) - المرجع نفسه.

(126) - مرجع سابق، هاينبوش (2019)، ص. 57.

معيشتهم» [127]. وهكذا، في حين يمكن الاستشهاد بالانتماء الطائفي كعامل محفز للبقاء في القوات المسلحة، فإن المخاوف من البديل غذت أيضًا كثيرًا من الولاء الأعمى الذي حدث في المراحل الأولى من الانتفاضات السلمية.

بينما لا نعرف أكانت قوات الأمن مدفوعة بمعتقدات أم بخوف حقيقي، فقد ظلوا موالين إلى حد بعيد، وسمحوا للأسد بالبقاء في السلطة، على الأقل حتى عرضت القوات الخارجية المساعدة. من ناحية نظرية الأمننة، يجب اعتبار قوات الأمن كلًا من الجمهور والفاعل الأمني. بصفتها جهة أمنية، قامت قوات الأمن القمعية بإنهاء احتجاجات الأغلبية السنّية، وهو ما دفع كثيرًا من أعضاء المعارضة إلى حمل السلاح ضدّ النظام العلوي وقوات الأمن العلوية. من خلال إضافة العنصر المادي على الخطاب الطائفي للنظام، أعطت القوات الأمنية للصراع بُعدًا طائفيًا ساعد في دفع المعارضة إلى العسكرة على أسس طائفية. أثناء الحضور، اضطر كثير من أفراد قوات الأمن إلى تصديق رواية الأسد، خوفًا من الانتقام ومخاوف من بديل للحكم العلوي. دفع إضفاء الطابع الأمني على الاحتجاجات التي طرحه الأسد قوات الأمن للاعتقاد بأنهم سيواجهون تهديدًا وجوديًا في إذا انهار النظام. علاوة على ذلك، فإن الطبيعة المترابطة بشدة بين قوات الأمن والنظام منعت أعضاء القوات من الانشقاق والانضمام إلى معارضة مفككة، وهو ما حفز على استمرار ولائهم.

بعد ذلك، من أجل فهم استمرار واتجاه الصراع الطائفي في سورية، يجب أن ننظر أيضًا إلى الدور المحوري لإيران وحزب الله في شحذ وتوسيع الخطاب الطائفي الذي أثاره الأسد في البداية وعزّز به قوات الأمن.

الديناميات الخارجية: إيران وحزب الله في الصراع السوري

في حين لعب النظام وقواته الأمنية دورًا محوريًا في تصوير الصراع على أنه حرب ضد التطرف الديني السنّي و«إشعال النار التي أدت إلى الحرب الأهلية» [128]، استغلت القوى الإقليمية هذه الرواية وعززتها لمنفعتها الخاصة. مع انحدار الصراع في سورية إلى حرب أهلية، بدأ نظام الأسد في الاعتماد بشكل كبير على إيران وحزب الله من أجل بقائه. قدمت إيران وحزب الله دعمًا مكثفًا لقوات الأمن العلوية التابعة للأسد، حيث طورت علاقاتها مع الميليشيات الموالية للحكومة، وجندت الميليشيات الشيعية من الخارج منذ المراحل الأولى [129]. تُعدّ نتيجة الصراع السوري ذات أهمية كبرى وأساسية لإيران وحزب الله، وهو ما استدعى مشاركتهما منذ البداية. ومع ذلك، فقد برّر كلا الفاعلين تورطهما بمصطلحات طائفية، الأمر الذي أدى إلى تضخيم الوعي الطائفي الذي انتشر، بعد عام 2011، ووسع الصراع في سورية إلى صراع إقليمي [130]. من خلال الارتقاء برواية الأسد الطائفية إلى قضية عابرة للحدود، أعدّت إيران وحزب الله الأرضية للصراع الطائفي في سورية، وأفسحوا المجال كي تتحول إلى مسرح لحروب متعددة بالوكالة. يسعى هذا الفصل لتقييم دوافع إيران وحزب الله في سورية، كيف عززت مشاركتهما حدود الصراعات الطائفية وتحويلها إلى قضية أمنية.

(127) - خضور (2015)، «معضلة العلويين»، في ستوليس (تحرير)، اللعب بالورقة الطائفية، ص. ص 11 27-.
https://bit.ly/3rB4gbK

(128) - مرجع سابق، فيلبس (2016)، ص. 55

(129) - مرجع سابق، هوليداي (2013)، ص. 10.

(130) - هاينبوش (2016)، "الثورة الطائفية في الشرق الأوسط". ثورات/ تطورات: الاتجاهات العالمية والقضايا الإقليمية، 4 (1): ص 145.

1. المصالح والدور الإيراني

منذ بداية الصراع، قدمت إيران قدرًا غير مسبوق من الدعم السياسي والمالي والإلكتروني والعسكري لنظام الأسد [131]. إن بقاء نظام الأسد أمر حاسم لمصالح إيران الإقليمية والإستراتيجية، وهذا ما يحفز مشاركتها منذ بداية الصراع. تاريخيًا، كانت سورية أقرب حليف لإيران منذ بداية الجمهورية، ولاعبًا مركزيًا في ما يُسمّى بمحور المقاومة، وهو تحالف تقوده إيران بين سورية وحزب الله والمسلحين الشيعة العراقيين، ويهدف إلى مواجهة المصالح الغربية في المنطقة، ولا سيّما مصالح الولايات المتحدة وإسرائيل [132]. يمثل الصراع في سورية تهديدًا كبيرًا لهذا التحالف، ومن ثم لسعي إيران من أجل الهيمنة الإقليمية. على وجه الخصوص، فإن إطاحة نظام الأسد يمكنها أن تضعف تحالف إيران مع حزب الله. تؤدي سورية دورها كطريق عبور مهم للإمدادات الإيرانية إلى حزب الله، حيث تنقل الأفراد والأسلحة والأموال عبر سورية [133]. من دون الوصول المباشر إلى حزب الله، ستتعطل قدرة إيران على بسط نفوذها في المنطقة. علاوة على ذلك، قد تؤدي هزيمة الأسد إلى نظام مدعوم خليجيًا بقيادة السنّة، وهو ما يعزز الداعمين الرئيسيين للمعارضة، مثل تركيا والمملكة العربية السعودية. تُعدّ نتيجة الصراع السوري محورية في التنافس الإيراني السعودي المستمر، الأمر الذي يُعدّ مركز «الحرب الباردة الجديدة» [134] التي تحدث في الشرق الأوسط. قام كلا الجانبين بتضخيم الصراعات الإقليمية إلى حالة حرب السنّة ضدّ الشيعة، ولكن كما يجادل غاوس [135]، فإن دوافعهم ليست «نزاعات دينية طويلة الأمد، بل مجرد منافسة بسيطة على النفوذ الإقليمي». نظرًا لأن أيًا من البلدين لا يواجه أحدهما الآخر عسكريًا، فإن إحدى الطرق التي يتم بها خوض المنافسة بينهما هي سورية. ستؤثر نتيجة الصراع السوري بشكل كبير في تصور الشرق الأوسط «لمن ستكون هذه الجولة من المنافسة على النفوذ الإقليمي» [136]. ولذلك، تتزامن المصالح الإيرانية في سورية مع «صراع جديد على سورية" [137]، حيث تعتقد قوى عدة في المنطقة أن القوة الإقليمية ستكون بين أيدي المنتصر في الصراع.

على ضوء ما سبق، استخدمت إيران سردية طائفية متميزة لحشد الدعم لنظام الأسد [138]. سمح الاستخدام الشائع للاختصار السنّي مقابل الشيعة في الحرب الباردة الجديدة لإيران بتشكيل الطائفة العلوية لتلائم المعسكر الشيعي، واعتماد مشاركتها في الصراع على التحالف الطائفي [139]. تزعم إيران أنها تشارك في سورية لمحاربة داعش وحماية الحكومة السورية الشرعية في دمشق، ومع ذلك يُشار إلى المتمردين

(131) - جونز، وماركوسن، (2018). "الصراع المتصاعد مع حزب الله في سورية". مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، ص. 2.
https://bit.ly/2WkH8m6

(132) - سوليفان، (2014). "حزب الله في سورية". معهد دراسات الحرب. ص. 1

(133) - مرجع سابق، هوليداي (2013)، ص. 10

(134) - مرجع سابق، غاوس (2014)، ص. 1.

(135) - مرجع سابق، غاوس (2014)، ص. 6.

(136) - المرجع السابق، ص. 1.

(137) - سيل، (1965). الصراع على سورية: دراسة في السياسة العربية بعد الحرب 1958-1945. لندن: توريس.

(138) - مرجع سابق، هاشمي وبوستل، (2017). ص. 8.

(139) - مرجع سابق، غاوس (2014)، ص. 5.

والمعارضة السوريين على أنهم السلفيون الجهاديون الذين سيبيدون جميع الأقليات إذا سقط الأسد [140]. علاوة على ذلك، استفادت إيران من السردية الطائفية في تجنيدها لقوى خارجية، وتنظيم ميليشيا شيعية عابرة للحدود من المجتمعات الشيعية الضعيفة مثل أفغانستان وباكستان والعراق [141]. اعتمدت إيران على موضوعات شيعية كلاسيكية مثل "الاضطهاد والاستشهاد والتضحية"، مع تقديم الحوافز المالية والفرص التعليمية ومنح الجنسية الإيرانية في تجنيدها [142]. من خلال إسناد معظم القتال إلى آلاف المليشيات الشيعية الموالية، تمكنت إيران من الادعاء بأنها أرسلت مستشارين فقط إلى سورية [143]. ومع ذلك، وعلى الرغم من هذا الادعاء، ما تزال إيران ترسل عناصر النخبة من الحرس الثوري الإسلامي بقيادة اللواء قاسم سليماني [قُتل في 3 كانون الثاني/ يناير 2020] لإعادة تدريب الجيش السوري وتوجيه المجهود الحربي لصالحهم [144]، بالإضافة إلى ذلك، ساعدت إيران ميليشيات الشبيحة الموالية للحكومة داخل سورية، جزئيًا للتحوّط من سقوط الأسد من خلال دفع هذه الميليشيات لتصبح معتمدة على إيران، وموالية لها [145]. إيران الآن راسخة بعمق في الصراع، مستغلة السردية الطائفية في لعبة توازن القوى الكلاسيكية. واستشعارًا بفرصة لكسب نفوذ جيوسياسي أكبر من السعودية، فقد دعمت إيران أمننة الأسد، وهو ما أسهم بشكل كبير في موجة الوعي الطائفي الممتدة في جميع أنحاء المنطقة.

2. مصالح حزب الله ودوره

علاوة على ذلك، لعب حزب الله دورًا مهمًا، وإن كان قليلًا، في تعزيز الرواية الطائفية للأسد. من حيث مصالح حزب الله في سورية، فإن السقوط المحتمل لنظام الأسد يشكل تهديدًا لمحور المقاومة، إلى جانب تهديد المرور الآمن لشحنات الجيش الإيراني، الساعية لمصالح مماثلة لإيران. ينسق حزب الله مع إستراتيجية إيران، في تدريب الميليشيات الحكومية والموالية للأسد داخل وخارج سورية. تولّى حزب الله دورًا قتاليًا أكثر مباشرة في عام 2012، حيث دعم النظام بقوة شيعية جيدة التدريب، بعد أن بدأ الأسد يفقد السيطرة على الأراضي السورية [146]. منذ المراحل الأولى للصراع، قدّم حزب الله الانتفاضات على أنها تهديد وجودي للبنان، مبررًا مشاركته العسكرية من خلال استخدام خطاب طائفي [147]. لقد صورت أعمال حزب الله الخطابية المعارضةَ السورية علانية على أنها تكفيريون سنّة، وهو مصطلح يُستخدم للإشارة إلى النشطاء الدينيين السنّة المتطرفين. لقد صرّح حسن نصر الله، زعيم حزب الله، بأن صعود الجهاد السنّي هو «خطر

(140) - مرجع سابق، هاشمي وبوستل، (2017). ص. 8.

(141) - المرجع السابق.

(142) - المرجع السابق.

(143) - سليم، (2019). «لماذا سيستمر تحالف الأسد مع إيران وحزب الله». المجلس الأطلسي.
https://bit.ly/2Vi1bkR

(144) - مرجع سابق، فيلبس (2018)، ص. 21.

(145) - فولتون، هوليداي، وويير. (2013). «الإستراتيجية الإيرانية في سورية". معهد دراسات الحرب. ص. 6.

(146) - المرجع السابق.

(147) - مرجع سابق، فيلبس (2015)، ص. 158.

غير مسبوق في التاريخ» وبإعلان الحرب ضد جميع التكفيريين [148]. علاوة على ذلك، ادعى حزب الله أن تدخل قواته كان لحماية المواقع الدينية الشيعية المهمة، مثل مرقد السيدة زينب في دمشق [149]. من خلال تصوير الصراع على أنه تهديد وجودي من التطرف السنّي، أضفى حزب الله الشرعية على مشاركته وخروجه من أنشطته العسكرية المعتادة في جنوب لبنان [150]. ومع ذلك، ساهم حزب الله بدوره بشكل كبير في الانقسامات داخل سورية، حيث بدأت قوات الأمن العلوية التابعة للأسد تتلقى الدعم من قوة شيعية ضد المعارضة السنّية. علاوة على ذلك، من خلال تصوير نفسه على أنه المدافع عن الشيعة في سورية، صوّر حزب الله المعارضة المتمردة على أنها تهديد مباشر للشيعة في لبنان والشرق الأوسط على نطاق أوسع. وبذلك، سرّع حزب الله الصراع الطائفي في سورية، ووسّع نطاق رواية الأسد على نطاق إقليمي [151].

3. التدخل الخارجي ونظرية الأمننة

وفق نظرية الأمننة، يمكن للجهات الفاعلة خارج الدولة الاستفادة من الأحداث والتلاعب بها لمصلحتها، وإن لم يشاركوا بشكل مباشر في الأمننة الأولية [152]. من الواضح أن إيران وحزب الله قد استفادا من رواية الأسد وتلاعبا بها من أجل مصلحتهما السياسية، ولا ترتبط مشاركتهم بهوية طائفية مشتركة، فالتبريرات الشعبية لحماية الأقليات تعمل كواجهة لمصالحهم الإستراتيجية. وقد صور كلا الفاعلين الصراع على أنه قضية أمنية لجميع الأقليات في جميع أنحاء المنطقة، وهذا ما يسهم في السياق الأوسع للتنافس الإقليمي بين السنّة والشيعة. كما تجادل نظرية الأمننة، يمكن للجماهير أن توجد عبر الحدود، داخل الدول وفي ما بينها. من خلال تقديم المعارضة السنّية على أنها «الآخر»، فإن داعمي الأسد الرئيسيين أعادوا تقديم هذا «الآخر» باعتباره تهديدًا وجوديًا للشيعة في المنطقة بأكملها [153]. نظرًا لأن الأحداث في الشرق الأوسط تميل إلى التردد عبر حدود الدول بسبب الأعراف المشتركة والدين والهويات [154]، فقد استغلت إيران وحزب الله الطبيعة المترابطة للمنطقة لتعبئة قاعدة دعم شيعية. علاوة على ذلك، استخدمت إيران وحزب الله السردية الطائفية لتأسيس موطئ قدم في سورية من خلال الميليشيات الشيعية المحلية. من خلال تأمين قاعدة دعم تعتمد عليهم في حال سقوط الأسد، فإن كلا اللاعبين قد رسخ نفسه في سورية في مرحلة ما بعد الحرب الأهلية، ومع ذلك فقد زاد تعقيد طبيعة الصراع. ومن ثم، أضافت إيران وحزب الله بُعدًا طائفيًا عابرًا للحدود الوطنية للصراع، وهو ما أسهم إسهامًا كبيرًا في تحويل الصراع إلى صراع إقليمي على السلطة على أسس طائفية.

---

(148) - مرجع سابق، درويش وفاخوري (2016)، ص. 723.

(149) - مرجع سابق، سوليفان (2014)، ص. 11

(150) - مرجع سابق، درويش وفاخوري (2016)، ص. 723.

(151) - مرجع سابق، عبده (2014)، ص. 38.

(152) - مرجع سابق، مابون (2019).

(153) - مرجع سابق، مالمفيغ (2016)، ص. 8.

(154) - مابون ولينخ. (2020). "الطائفية والعلاقات الدولية". دراسات POMEPS 38، ص 3.
https://bit.ly/2UUYBkR

الخاتمة

تناولت هذه الأطروحة الديناميكيات الطائفية في الصراع السوري، مستخدمة منظور نظرية الأمننة لفهم كيفية تعبئة الهويات الطائفية، وإضفاء الطابع الأمني عليها من قبل نظام الأسد، وكيف أسهم هذا التحويل الأمني الناجح في شكل الحرب الأهلية واتجاهها. من خلال دراسة أفعال خطاب النظام وممارساته الأمنية، جادلت هذه الأطروحة بأن النظام أثار المخاوف من غياب بديل للحكم العلوي، ولعب على حالات انعدام الأمن الموجودة من قبل، والتي نشأت عن مرحلة الانتداب الفرنسي، ومأسسها حافظ الأسد. استشهدت هذه الأطروحة بالمخاوف من بقاء الأقلية في مواجهة الحكم السنّي، كسبب رئيس لدعم قبول الأقلية، وكذلك الاعتراف بالدور الثانوي للظروف الاجتماعية والاقتصادية في الإسهام في نجاح عملية الأمننة للنظام. من خلال ربط بقاء الأقلية ببقاء النظام، جادلت هذه الأطروحة بأن الأسد كان قادرًا على تأمين قاعدة دعم تحول دون تطور حركة معارضة عابرة للطوائف تتحدى حكمه. ومع ذلك، أدى إضفاء الطابع الأمني على النظام، والقمع العنيف لقوات الأمن في نهاية المطاف، إلى "تطييف مناهض" لدى المعارضة السنّية، وهذا ما أدى إلى تسريع انزلاق سورية إلى حرب أهلية على أسس طائفية. علاوة على ذلك، تناولت هذه الأطروحة الدور المحوري الذي لعبته إيران وحزب الله في ترسيخ أمننة الأسد، وتحويل الصراع الداخلي إلى صراع إقليمي واسع على سورية، وذي بعد طائفي مفرط. من هنا، أدى حشد الهويات الطائفية في نهاية المطاف إلى صبّ الزيت على النار المشتعلة بالفعل، ومن ثم إلى تفاقم الانتفاضة السورية وتعقيدها، وأسهم في نشوب حرب أهلية.

لم تؤدِ الطبيعة الطائفية للحرب الأهلية السورية إلى تعقيد مسار الصراع فحسب، بل إنها ستعقد السلام والاستقرار في سورية في المستقبل في أعقاب نهاية الصراع في نهاية المطاف. كما جادل سلوغيت [155]، بمجرد «إطلاق سراح المارد الطائفي من القمقم، من الصعب جدًا إعادته إلى مكانه"، متحدثًا عن صعوبة تهدئة الانقسامات الطائفية التي تضخمت بفعل أهوال الحرب. ومع ذلك، يمكن تعزيز جهود المصالحة من خلال فهم خطوط الصدع المعقدة في سورية[156]. من الواضح أن نظرية الأمننة تقدم إطارًا مثمرًا لفهم تطور الصراع في سورية والشرق الأوسط على نطاق أوسع، وهذا ما يساعد في توضيح العملية التي يمكن من خلالها أن تصبح الهويات الطائفية تهديدات أمنية. في حين أن هناك حاجة إلى مزيد من العمل من أجل تطبيق هذا الإطار بنجاح على حالات خارج العالم الغربي، فقد أسهمت هذه الأطروحة في تطوير نظرية الأمننة خارج منظورها الغربي، وتكييف المفاهيم وتطويرها لفهم أمننة الهويات الطائفية في الحرب الأهلية السورية. مع تزايد الترابط بين المناطق المتنافسة والصراعات والتحالفات والحروب على أسس طائفية، يمكن أن يساعد مزيد من دراسة الممارسات الأمنية في المنطقة وتمحيصها في نزع فتيل النزعة الطائفية التي تجتاح المنطقة اليوم.

(155) - سلوغيت (2016)، التداعيات القاتلة: صعود الطائفية في سورية. في بيك (تحرير)، بلاد الشام في حالة اضطراب. لندن: بالغريف ماكميلان، ص 40

(156) - مرجع سابق، سالاماندرا (2014)، ص. 306

مركز حرمون للدراسات المعاصرة

هو مؤسّسة بحثية مستقلة، لا تستهدف الربح، تُعنى بإنتاج الدراسات والبحوث السياسية والمجتمعية والفكرية المتعلقة بالشأن السوري خاصة، والصراع الدائر في سورية وسيناريوهات تطوره، وتهتم بتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي. كما تهتم أيضًا بالقضايا العربية، والصراعات المتعلقة بها، وبالعلاقات العربية الإقليمية والدولية.

يُنفذ المركز مشاريع ونشاطات، ويُطلق مبادرات من أجل بناء مستقبل سورية، على أسس وقيم الديمقراطية والحرية والمساواة وحقوق الإنسان وقيم المواطنة المتساوية، ويسعى لأن يكون ميدانًا للحوار البنّاء، وساحة لتلاقي الأفكار.

- أبحاث سياسية
- أبحاث اجتماعية
- أبحاث اقتصادية
- ترجمات
- أبحاث قانونية

www.harmoon.org

مركز حرمون للدراسات المعاصرة
Harmoon Center for Contemporary Studies
Harmoon Araştırmalar Merkezi
Doha, Qatar Tel. (+974) 44 885 996 PO.Box 22663
Istanbul, Turkey Tel. +90 (212) 813 32 17 PO.Box 34055
Tel. +90 (212) 524 04 05